مجلة البيان – العدد 45 ، جمادى الأولى 1412هـ / نوفمبر 1991م

الافتتاحية

في اللهب ولا نحترق !

إن الأمم والشعوب كالأفراد ، يقلد بعضها بعضاً ، ويتأثر ويؤثر بعضها في بعض ، وهذا أمر طبيعي وسر من أسرار الصراع الذي تقوم عليه الحضارات . وهذا التأثر والتأثير: بعضه ما تسعى إليه الجهة الغالبة ، على غير رغبة من المغلوبة ، وبعضه ما تسعى إليه الجهة المغلوبة على غير رغبة من الغالبة.. ونحن - المسلمين - لا نشذ عن هذه القاعدة فقد أثَّرنا وتأثرنا ، واقترضنا وأقرضنا ، سواء عن رضا ووعي ، أم عن كره وإذعان . غير أن كفة الاقتراض والاستدانة قد بدأت ترجح يوماً بعد يوم ، حتى وصلنا إلى مرحلة الإفلاس والاعتماد على الاستدانة في جميع المجالات تقريباً .

ومنذ أن دَهَمِنا الغرب دَهْمَتُه الثانية بحضارته الوثنية المسيحية، قبل حوالي قرنين تقريباً، ونحن نتخبط كالعميان في ظلمة مطبقة ، نحاول المخرج من هذا المصير الذي صرنا إليه، وكلما ظننا - أو ظن بعضنا - أننا كدنا ننجو ، جَبَهَنا جدار جهم قاسٍ ، فأصابنا دوار يشل الحركة زمناً ، ثم ننهض نتلمّس المخارج من جديد . ولا ننفك - ونحن في هذه الحالة البائسة - عن التلاوم وتبادل التهم التي تؤدي كثيراً إلى أن يأخذ بعضنا برقاب بعض ، وتشحن القلوب ، وتنتفخ الأوداج ، فمن ملق سبب ارتطام رأسه بالجدار على زيد الذي لم يحذره ، وآخر على عبيد الذي قاده إلى ذلك ، وثالث على الجدار نفسه أنْ كان صلباً قاسياً ، ولم يكن لينا كالعجين يجد الناطح في نطحه متعة ! وننسى أننا عميان ، أو كالعميان ، وغفلنا عن السبب الأساسي لما نعانيه ، وهو فقدان الحاسة التي بها نرى ونبصر .

نقف اليوم على عتبة مرحلة يبدو أنها جديدة و"منعطف تاريخي حاسم" بلغة مفكرينا الذين يكتبون ويخطبون (1) . وكاتب هذه السطور ما زال - منذ نعومة أظفاره - يسمع ويقرأ عن "المنعطفات التاريخية الحاسمة" في تاريخنا الحديث ، وبينما كانت هذه المصطلحات تعجبه بطنينها ورنينها وهو صغير ؛ دون أن يفهم مدلولاتها ومراميها ، إذا به يكتشف بعد برهة - وقد زالت الأغشية عن بصيرته - أن هذه الكلمات استنفدت أغراضها ، وجفت عصارتها ، وأن مكانها المناسب هو "سلة المهجور من الكلام" الذي تتجوزه الفِطَرُ البشرية لأنه لم يعد يعبر عما في نفوسها ، ولم يعد مرآة صقيلة ناصعة تنعكس عليها نفس متحدثيها واضحة محددة صحيحة .

وإذا استعملت هذه الكلمات ، مع هذا الموقف منها ؛ فلأنني متأثر بما حـولي ، ومنفق من "عملة" زمني ، وهدفي أن أصل بالقارئ إلى هذه المرحلة التي نحن وأجيالنا الآتـية مقبـلون عليها .

لقد وصلنا إلى هنا ، حيث فقد الناس الثقة بكل ما نصب من الأصنام خلال تـاريخ الـعرب الحديث . أخرجوا المستعمرين من الأبواب فجاؤوهم من النوافذ ، آمن بعـضهـم بالشيوعية والاشتـراكـية فماتت وبالت عليها الثعالب ، وضعوا ثقتهم في ما سمي بالثورات فـاحرقـت هذه الثورات الأخضر واليابس وأهلكت الحرث والنسل واستأصلت الزرع، وجففت الضرع.

وقـد تمـيزت هـذه الفـترة بأمـرين متـزامنـين تقـريباً ، يحـسن الـوقوف عندهما لاستشراف نتائجهما وهما :

1- سقوط الشيوعية وتمرد الشعوب التي كانت محكومة بها عليها ، قـبل حـرب الخـليج وبعدها .

2- حرب الخليج نفسها، وما تمخض عنها من نتائج مأساوية على العرب بشكل خـاص، وعلى الأمة الإسلامية بشكل عام .

وقد استبشرت شعوب كثيرة بسقوط الشيوعية ، ورأت في ذلك مؤشراً وإرهاصاً لما تتمناه من تغيير هي بحاجة ماسة إليه ، ولم يقتصر هذا الاستبشار على الشعوب التي اكتـوت بـنـار هذا المبدأ الخبيث بشكل مباشر ، بل إن شعوباً كثيرة اهتزت فرحة لهذا السقوط - وإن لم تـطبـق عـليها الشيوعية بحذافيرها - بل لأن الأنظمة التي جُرّبت عليها كان فيها شبه ما بالأسلوب الـذي طـبق في روسيـا وأوربا الشرقية والصين وغيرها... نعني به أسلوب الكبت والـقـهـر والـعـسـف وتكمـيـم الأفواه ومصادرة الحريات والاستهانة بالإنسان من حيث هو إنسان، وجعل السلطة والتنعم بخـيراتها حكراً - في دائرة مغلقة من المقربين والمحاسيب، دائـرة لا يـدخـلها إلا من رضي بالدون واستهان بالقيم ، ورضي أن يقـاد مـن أسوأ جانب يقاد منه الإنسان وهو جانب الشهوات والجري وراء حظوظ النفس الرخيصة.

لكن على الرغم من هذه التغييرات العميقة هنا وهناك ؛ فقد ظلت شعوب ترسف في واقعها المـر الـذي فـرض عـليـها فـرضاً ، وينتقل بها من سيء إلى أسوأ ، وإن العاقل الذي يحاول استخلاص جامع يجمع هـذه الشعـوب يكتشف بأدنى نظرة أن صفة مشتركة تجمعها وهي الإسلام الذي ما زال عبر القرون - ولن يزال - العدو الأول للغرب "الوثني المسيحي" . إن كثيراً من أبناء جلدتنا المخدوعين يـظـنون أن الحضارة الغربية اليوم لا صلة لها بوثنية ولا بمسيحية ، بل هي قائمة على مصالح ، وأن المجال مفتوح للعرب للتأثير في هذه المصالح. وهذا ظن مضلل لأنه في حقيقته دعـوة للعرب وللمسلمين أن يتخلوا عن عقيدتهم وتاريخهم ، وأن يبنوا خططهم على المصالح الآنيـة كـالـغرب. وسبـب الضلال والتضليل كامن في هذه الدعوى، وهو الاعتقاد بأن

الغرب الذي يعبد المادة قد تخلى عن عقائده وتجاهل عن تاريخه. إن التاريخ الذي يصوغ عقلية الغربيين والذائبين في حضارتهم هو مزيج من الوثنية ومن المسيحية المحرفة والخاضعة للمفاهيم الوثنية، فهو تاريخ وثني في منطلقاته وأهدافه مموه ببعض التمويه المسيحي ، واليوم - ونحن نرى هذا الرجل الغربي وقد تمرد على الأديان كلها - ومنها النصرانية نفسها- فلأن المسيحية التي عهدها لم تعد قادرة على تمويه هيكل الحضارة الوثنية الذي كبر وتشعب وأصبح له كثير من الرؤوس المخيفة التي يعجز طلاء المسيحية الهش عن سترها وتجميلها وتغطية القبح البادي منها .
ولكن مع كل هذا فلا زال هذا الغرب على الرغم مما صار إليه ، يزعم ويظن أنه على شيء من المسيحية التي دان بها أجداده ، وعملوا باسمها أعمالاً يرى هو أنها أعمال عظيمة ، ويتصور أنه حامل هذه المفاهيم وأن هناك دوراً ينتظره ، ومن يستعرض خطب " بوش " وأحاديثه أثناء وبعد أزمة الخليج يكتشف بسهولة أنه الناطق الرسمي المعاصر للتاريخ الغربي الوثني المسيحي ، وأن لا شيء جديد في النظام العالمي الجديد الذي يبشر به هو وفريقه ، بل هو "خمر عتيق في دنان جديدة".
ونريد أن نخلص من هذا الاستطراد الذي لا جديد فيه إلى التساؤل :
* ألا يحق لنا نحن - المسلمين - أن تكون لنا مطامح كسائر البشر وأهداف عليا نعمل من أجلها ونتنافس مع غيرنا من البشر لتحقيقها ؟
* هل عقيدتنا الإسلامية بمثل هذا السواد ؛ وتاريخنا الإسلامي بمثل هذا العار حتى نتهرب من تبعاتهما ونتخلى عنهما - كما نفعل الآن - ونلهث وراء السراب فنضع ثقتنا كلها في الولايات المتحدة أو الأمم المتحدة ؟
* هل صحيح أن منطقتنا قد وقعت وقوعاً لا رجعة فيه تحت الهيمنة المطلقة لواضعي (النظام العالمي الجديد!) وأن ذلك أصبح قدراً مقدوراً وكتاباً مسطوراً ؟
هذه الأسئلة وغيرها نابعة من الواقع الذي نعيشه ، كل الأمم تحاول أن تجدد في حياتها باستقلالية ودون وصاية إلا نحن ، لا يسمح لنا أن ننظر إلى المستقبل بأعيننا بل بأعين غيرنا، ولا يؤذن لنا أن نقرأ تاريخنا بعقولنا بل بعقول من صنعهم التبشير وعبيد الغرب، ولا يراد لنا أن نعيش بشراً كالبشر بل بشراً منزوعةً عنهم مميزات البشر ،
أبناء المسلمين " لحم على وضم"(2) ودم مستباح مطلول لا يستقاد له ، وأموالهم تُهبى لكل طامع ، وغيرهم يمشي مرفوع الرأس على أرضهم ، مضمون الحقوق ، سالماً من المحاسبة على كثرة المخالفة ، بينما هم المتهمون في أرضهم حتى تثبت براءتهم ، وحالهم اليوم ليست بعيدة من الحال التي وصف فيه الشيخ محمد عبده أهل مصر في عهد حكم محمد علي وأسرته حيث قال .

"(أخذ (أي محمد علي) يـرفـع الأسافل ويعليهم في البلاد والقرى ، كأنه كان يحن لشَبَهٍ فيه ورثه عن أصله الكريم ، حتى انحـط الـكرام وسـاد اللئام ، ولم يبق في البلاد إلا آلات له يستعملها في جباية الأموال وجمع العساكر بأية طـريقـة ، وعـلى أيـة وجـهـة.. فـمحق بـذلـك جمـيع عناصر الحياة الطيبة من رأي وعزيمة واستقلال نفسي لتصير البلاد المصرية جميعها إقطاعاً واحداً له ولأولاده على أثر إقطاعات كثيرة كانت لأمراء عدة .
ماذا صنع بـعد ذلـك ؟.. اشرأبت نفسه لأن يكون ملكاً غير تابع للسلطان العثماني.. فجعل من العدة لذلك أن يسـتعـين بالأجـانـب من الأوروبيين فأوسع لهم في المجاملة وزاد لهم في الامتياز خارجاً عن حدود المعاهدات المنعقدة بينهم وبين الدولة العثمانية ، حتى صار كل صعلوك منهم - لم يكن يملك قوت يـومه -ملـكاً من الملوك في بلادنا ، يفعل ما يشاء ، ولا يسأل عما يفعل . وصغرت نفوس الأهالي بين أيدي الأجانب بقوة الحكم ، وتمتع الأجنبي بحقوق الوطني التي حرم منها، وانقلب الوطني غـريـباً في داره، غـير مـطـمـئن في قراره، فاجتمع على سكان البلاد المصرية ذلان :
1- ذل ضربته الحكومة الاستبدادية المطلقة .
2- وذل سامـهـم الأجـنـبي إياه ليصل إلى ما يريده منهم غير واقف عند حد أو مـردود إلى شريعة"(3)
عجباً لهذه الأمة - الأمـة الإسـلاميـة! لـقد مَـرَنَـتْ عـلـى الظـلـم حتى كدنا نقول : إنها تستحلي طعمه ، وتجد في ممارسته عليها لذة وأي لذة ! وقــد شـــاء الله لهـا هـذا المـوقـع لـتستـفيد العبر ممن يعبرها مُشرَقَّاً ومُغَرَّباً ، وتقطف ثمار التجارب دون كبير عناء ، ولكننا نكاد نـقـول : تحجـرت وفقدت الحس ، الأمم تمشي وهي واقفة ، والأحداث تتوالى وهي تقابلها بهز الكتفين .
وفـي هـذا الـليل المـدلهـم ، يبزغ نور حق هنا ويرتفع صوت مخلص هناك ، سرعان ما يكبته الكابتون ليعود بعد ذلك صـوت ونـور آخر من حيث لا يحتسبون صارخاً في الأمة أن أفيقي فقد طال السبات ويكون مصداقاً واقـعيـاً لـقولـه صـلـى الله عليـه وسلم : "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك "(4) .
إن المسلـمـين لـيتطلعون - في هذه الفترة العصيبة - إلى تغيير يمسُّ الأسس التي تقوم عليها حياتهم المعاصرة، ولـن تجـديهـم بـعض التعديلات السطحية الي تجري للدعاية والخداع، ولا يحل عُقَدَهم ؛ ولا يطلق طاقاتهم إلا تجديد قائم على العقيدة الإسلامية ، وليس تقليداً لأفكار الغرب وصنائع الغرب وعبيد الغرب المفروضين عليهم بشتى الوسائل غير الأخلاقية الظاهرة والمستترة .
لقد آن الأوان للمسلمين - في كل بلد - أن ينظروا إلى أنفسهم ويوحدوا جهودهم ويكثفوها للخروج مما هو مضروب عليهم ، وأن تكون لهم أهداف

كبيرة ، وأن لا تشغلهم الصغائر والمثبطات التي ينفذ منها الشياطين ويستغلونها لضربهم وتفريق جمعهم .

"حتَّامَ نحن نساري النجمَ في الظُّلمِ"(5)؟!

الهوامش :

1- كثير من الناس يجادلون في هذه الدعوى ، وفي حججهم الكثير من الحق .

2- الوضم : لوح الخشب الذي يقطع عليه الجزار اللحم، وهذا مثل للذليل ولمن لا يستطيع ردَّ الظلم عن نفسه .

3- من مقال للشيخ محمد عبده بمناسبة مرور مئة سنة على تسلم أسرة محمد علي الحكم في مصر ، أنظر الأعمال الكاملة للشيخ محمد عبده 1/721 .

4- صحيح مسلم 3/1523 ط محمد فؤاد عبد الباقي .

5- صدر بيت للمتني ، وتكملته : وما سراه على خفٍ ولا قدمِ .

مقابلة

حول الفقه والتفقه

حوار مع الشيخ علي بن سعيد الغامدي

زار المنتدى الإسلامي هذا الصيف الشيخ الدكتور علي بن سعيد بن علي الغامدي فكانت فرصة للحوار حول الفقه والتفقه .

* البيان : نرحب بكم في المنتدى وشكراً لزيارتكم ، وفي البداية نود إعطاء القارئ لمحة عن حياتكم العلمية :

بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله . درست المرحلة الجامعية في كلية الشريعة بالرياض ، أما الدراسات العليا الماجستير والدكتوراه ففي كلية الشريعة بالأزهر ، والعمل الآن في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، بين كلية أصول الدين وكلية الشريعة ثم المعهد العالي للدعوة في المدينة المنورة ، وإلى جانب ذلك فإني أدرس في المسجد النبوي الشريف .

* البيان : ما هي المادة التي تدرسها في المسجد النبوي ؟

مادة الفقه ، أدّرس كتاب "منار السبيل" وقد أنهينا منه جزءاً طيباً ولله الحمد..

* البيان : ما دمنا بدأنا الحديث عن دروس الفقه ، فما رأيكم بطلاب العلم الذين يحضرون دروسكم في المسجد ؟

لا شك أن الناس في حاجة ماسة إلى الفقه لأن الفقه يمس حياتهم ، فهم محتاجون إليه في كل شيء ، والناس في وقتنا الحاضر والحمد لله يقبلون

على الخير وعلى العلم ، ولكن هم أنواع وأقسام ، فمنهم من يود التفقه بأسرع وقت ممكن ، وهذا صعب المنال ، ومنهم الملتزم الذي يستطيع الإقبال بجد وعلى النفس الطويل ، ويتواضع لله ثم لأهل العلم ، ويلازم حلقة التدريس ويسأل عنها ، عدد هؤلاء قليل ولكنه مبارك إن شاء الله ، ويتميز هؤلاء بالحضور المبكر وحسن التواضع والاستماع والمناقشة سواء في أثناء الدرس أو بعد الانتهاء . وهناك آخرون من عامة الناس يحضرون في المناسبات وتشدهم بعض الدروس فيستمعون ويستفيدون .

* البيان : بالنسبة لهؤلاء الطلبة الذين يداومون هل ترون أنهم إذا أنهوا كتاباً معيناً فإنهم يصبحون أهلاً لتمكن المعرفة والتعليم ؟

ليس كل الطلاب ، فالقليل الذي يدرك المسائل التي درسها واستفاد منها ، وهذا نادر لأن مراجعاته مثلاً تكون جيدة ومستمر مع الكتاب وهؤلاء ظروفهم صعبة لانشغالهم بالدروس الأخرى .

* البيان : بدأنا الحديث عن حلقات العلم ودروس المساجد ، هل ترون تعميم هذا الأمر، أعني الرجوع إلى حلقات الدرس المعروفة في تاريخ المسلمين ، لعلها تعطي فائدة أكثر من المدارس العادية ؟

بدون شك إن الرجوع للحلقات العلمية في المساجد هو طريق صحيح ، لأن الدراسة بالمسجد يحيط بها جو روحاني، والشيء الثاني أنه لا يأتي إلى الحلقة إلا طالب علم محب للعلم، أما الدراسة النظامية في الوقت الحاضر فقد أصبحت مفروضة على الناس ، ومَنْ لا يتجاوز هذه المراحل فإنه لا يستطيع شق طريقه في الحياة ، ويمكن الجمع بين الأمرين وهو إخلاص النية في الدراسة في الكليات ثم يضم إليها حلق العلم في المساجد .

* البيان : ما هي الخطة التي اختطها لنفسك في درسك بالمسجد النبوي ، فلعله يستفيد منها من يود إعادة هذه الحلقات إلى المساجد ؟

الخطة كانت حسب الوقت المتاح . قراءة كتاب "منار السبيل" ، يقرأ الطالب جملة صغيرة وشرحها بما يسر الله من ذكر الحكم والأدلة ، وأحياناً نشير إلى الخلاف . وعندما ينتهي الطالب من القراءة أبدأ في عرض المسألة وأبين الحكم الذي عرض وإذا كان هناك تعريف أشرحه ، وإذا كان هناك تأصيل بذكر الأدلة من الكتاب والسنة والإجماع أذكره .

وكذلك أذكر أحياناً حكمة الشارع في مسألة من المسائل من غير تكلف ، وأتعرض لما يثار حول هذه النقطة أحياناً من خلاف له ثمرة وخلاف له دليل ، أما الخلاف البسيط أو الذي دليله ضعيف فأتركه لأن إثارة الخلاف في هذه المسائل ليس فيه مصلحة . ومع معرفة الحكم والدليل فإنه إذا عرض خلاف قوي ودليله أقوى مما ندرس وهو على مذهب الإمام نختار الأقوى وما هو أقرب إلى الدليل بعد بحث مستفيض قبل المجيء إلى

الدرس، ثم هناك جانب آخر وهو التوجيه والدعوة من خلال النصوص التي تعرض المسألة ، فإن جو المسجد النبوي أو أي مسجد هو جو تربوي .
* البيان : إذا كان هناك مسألة في مذهب الإمام أحمد وهناك ما هو أرجح منها في المذاهب الأخرى أو عند العلماء المعتبرين هل تبينون للحضور أنها مسألة مرجوحة ؟
لا شك في هذا لأن طبيعة دراستي كانت في الفقه المقارن ، ولقد اطلعت بحمد الله على الأقل على أصول كل مذهب من المذاهب ، وكما هو معلوم فإن هذه المذاهب أخذت من الكتاب والسنة ، وكان لكل إمام أصوله التي أصل عليها وله رأيه المعتبر ، فأحياناً نميل إلى قول غير قول المذهب الحنبلي ، وإذا كان هناك مسألة من المسائل في فقه الخلاف نعرض لما اختاره الأئمة المحققون الذين جمعوا الأقوال وجمعوا الأدلة واختاروا ، فنحن نستأنس بذلك أيضاً ، ثم ننظر في حال المستفتي وحال الواقعة وحال الزمن الذي يعيش فيه ، فلا شك أن هذه الأشياء مرجحات لمأخذ القول ، والمهم أن يكون هذا القول مبنياً على الدليل الصحيح .
* بعض الناس يرون أن هذه الكتب "كتب المذاهب" تعود الطالب على التعصب ويجب الرجوع إلى كتب فقه الحديث مباشرة مثل : نيل الأوطار ، أو سبل السلام... فما رأيكم ؟
هذا في نظري غير صحيح ، والسبب هو أن هؤلاء العلماء ما وصلوا إلى هذه الشروح إلا بعد أن درسوا كتب المذاهب ومروا بحلقات العلم ، ولهذا نجد أنهم في كتبهم وشروحهم يذكرون الأقوال ويناقشون الأدلة ، وهذا دليل على أنهم مروا بهذه المرحلة ، وهذا في نظري هو الأفضل ، فلا بد أن يصعد الطالب درجة درجة ، طبعاً مع تزوده من الكتاب والسنة وشروحها ، كأن يأخذ الطالب مختصراً من المختصرات ثم يقرؤه على شيخ ويطالب بالدليل ، والمطالبة بالدليل ظاهرة صحيحة ، ولا يبدأ بالمقارنات وهو ما زال في أول الطلب ، فإنه ليس أهلاً لهذه المقارنات ، وفي هذه الحالة يستطيع أن يؤسس نفسه على الأقل .
* البيان : ولكن كيف نستطيع التخلص من موضوع التعصب المذهبي وفي الوقت نفسه نستفيد من الفقه الإسلامي الذي هو ثروة عظيمة للأمة الإسلامية ؟
لا شك أن هذا الكلام كلام صحيح ، ولعلّ الشوكاني -رحمه الله- ممن دعا إلى هذا في كتابه "طلب العلم" وغيره ، لكن يجب أن ندرس الظروف التي ظهرت فيها مثل هذه الفتاوي ، ولقد وقع التعصب المذهبي فعلاً إلى درجة أنه يتوقف عن أخذ الدليل الذي يعتبر مخالفاً لقول إمامه ولا يتراجع عن رأيه الخطأ ، ويقول : لقد فرغ الإمام من دراسة الأحكام واستنباطها ، فلم يبق لنا في الكتاب والسنة إلا القراءة للبركة ! وهذا عين التعصب .

ولكن كما ذكرت ، الاستفادة من الفقه الإسلامي الموجود أمر ضروري جداً كمرحلة أولى ، والأصل مع الدليل ، ولكن يؤسس نفسه أولاً ، وكل العلماء السابقين كانوا يقولون : إذا صح الحديث فهو مذهبي ، ويقولون : خذوا مما أخذنا منه ، لكن بشرط أن نصل إلى المرتبة التي تؤهلنا لذلك ، والكتاب والسنة والحمد لله ميسران ، ولكن النصوص فيها عام وخاص ، ومطلق ومقيد ، وفيها أيضاً محكم ومتشابه ، وناسخ ومنسوخ ، فليس لنا الحق في أن نأخذ مثلاً بالمنسوخ ونجلس وننتظر فترة من الزمن حتى نعرف الناسخ مع أننا نستطيع أن نصل إليه في وقت يسير بالعلم والتعلم .

* البيان : سمعنا أن لكم جهوداً في دراسة كتاب " المغني" لابن قدامة ، هل لكم أن تحدثونا عنها ؟

الجهود هي دراستة اختيارات ابن قدامة -رحمه الله-، وهي موضوع رسالة الدكتوراه، كانت حول فقه الخلاف ، وهذه المسألة أرجو أن أكون قد استفدت منها أولاً لنفسي وأنني أخرجت شيئاً من الفقه المحرر المجموع ، وذلك بأنني أستعرض المسألة ، وليس كل مسائل الخلاف ، ولكن أهم مسائل الخلاف ، مثلاً آخذ رأس المسألة ثم أذكر أقوال أهل العلم من كتبهم الخاصة المعتمدة عندهم وأشير في الهامش إلى المراجع ، وأحاول أن أحرر المذهب نفسه لأنه أحياناً يكون في المذهب نفسه أقوال وروايات ، وإذا قلت : قال الشافعي أو مذهب الشافعي فإنني أرجع إلى أصوله كالأم مثلاً ، ثم بعد ذلك أستعرض الأدلة من كتب المذاهب الموجودة وأجمع أدلة هذا القول . ثم بعد ذلك أستعرض القول الثاني وأذكر أدلته ، ثم أذكر اختيار ابن قدامة وما مال إليه من الأقوال ، وقد يكون لي أحياناً موقف معين، لأنني لا أكتفي بهذا بل أدرس رأي المحققين: كالخطابي، وابن عبد البر ، وابن تيمية ، وابن دقيق العيد ، وكذلك مثل ابن القيم ، وابن حجر ، رحمهم الله جميعاً ، هؤلاء جمعوا الأقوال وأدلتها وناقشوها ، فقد يكون لي أحياناً موقف يتناسب مع ظروف الوقت الحاضر ، كما في إحياء الموات بالنسبة للكافر ، والشفعة وما أشبه ذلك ، فيكون لي رأي يخالف الشيخ أميل فيه لبعض آراء الآخرين لمصلحة تتحقق .

"يتبع"

بيان من بعض علماء الأزهر عن حرمة معاملات البنوك

هذا بيان أصدره بعض علماء الأزهر ممن يدّرسون في جامعة أم القرى في مكة المكرمة رداً على مفتي مصر في موقفه من بعض المعاملات الربوية .

- البيان -

هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

الحـمـد لله الحكـيـم فـي شرعه ، الحفيظ على دنياه ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبلغ عن ربه ، المبين لحكمه ، وعلى آله وصحبه ومن سار على دربه .

أما بعد:

فإن هناك حقيقة غائبـة عن المجتمعات الإسلامية الآن ، ولها خطورتها- في تعمية السبل أمام نهضتها من كبوتها ، وكنا نظنها واضحة لدى النخبة المثقفة فيها ، وخاصة من أبناء الأزهر ، حتى فوجـئنـا وفـوجئ الفـكـر الإسلامي الحديث كله بما صدر عن الشيخ محمد الطنطاوي مفتي مصر بشأن شهادات الاستثمار مرة، وفوائد البنوك ومعاملاتها مرة أخرى، ثم اختلاط الفتيات بالشبان في الجامـعات والمـعسكـرات أخيراً.. هـذه الحـقيـقـة الغـائبة تـتلـخـص في أن الإسـلام لا يمكن تطويعه لأوضاع نبتت في غير أرضه ؛ إذ هو القيم المهين على ما سواه من أديان وأنظمة وقوانين .

إنه قد جاء ليغير ما عليه المجتمعات من أنظمة وضعية فاسدة اعتماداً على بديهة إيمانية هي أن الله يعلم المصلح من المفـسد، وأن كـل مـا يخـالف تشريعه فهو هوى يفسد السموات والأرض ، قال تعالى :

((وَلَوِ اتَّبَعَ الحَقُّ أَهْوَاءهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ والأَرْضُ ومَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ)) .

وأن الإيمان منفي عمن لا يكون هواه تبعاً لما جاء به الشرع الحنيف .

وقد نتج عن غياب هذه الحقيقة ظاهرة غريبة تحاول أن تـفرض الـواقع المستجلب من بيئة لا تـؤمـن بضوابط الوحي الخاتم على ما جاء به الإسلام من تشريعات ، هـادفـة لإخـضـاع الإسلام للواقع مهما كان هذا الواقع ، مستخدمة أسلوب الادعاء بأن باب الاجتهاد مفتوح لمن هب ودب .

وقد تعلمنا مـن وقـائـع التـاريخ الحديث - منذ قدر للاستعمار أن يتحكم في بلاد المسلمين، وينحي عنهم تشريعهم - أن أعـداء الـدعوة الإسلامية يحاولون بشتى الطرق - وبإصرار غريب متواصل - أن يغيبوا عن المجتمع الإسـلامـي نمـوذج الحيـاة الفـاضل العادل الذي تكـفل سابقاً بتقدمه ومجده ، وأن يعملوا على إبراز نموذج الحياة الغربية عـلى أنـه المـثل الذي لا بـد مـن الـسير خلفـه مـهـما كـان فيه من عورات ، ولذا نراهم يثيرون بين الحين والآخر قضايا انتهى الفكر الإسلامي المستنير مـن قـتلـهـا بحـثاً ، ولكنهم يستغلون في ذلك بعض المثقفين على غير وعي منهم ، وإننا لنشهد لهم بالمهارة فـي اختيار الضحايا . وهذه القضايا هي التي بثها الاستعمار الفكري في أوائل هذا القرن ، إنـنـا مـازلنـا عـلـى ذكر من إثـارة الشـكـوك حول صلاحية التطبيق الإسلامي في العصر الحاضر ، وما كتب فـيـهـا من المخدوعين المـغـرر بـهـم . ومـا أثـير في السـتينات من تطويع بعض تشريعات الإسلام للفكر الاشتراكي ، حتى ظهر من يقول : إن الإسلام هـو الاشـتراكية ، وما أثير من

التشكيك في موضوع انطباق وصف الربا على فوائد البنوك وصناديق توفـير الـبريد حـتى يقال حينـئذ: إن الإسلام هو الرأسمالية! والإسلام إسلام قبل ظهور هذه المذاهب الوضعية الفاسدة . والآن تـطـرح مـعظـم هـذه القـضـايـا بـنفس الحجج التي أثيرت بها من قبل ولكن بأسلوب آخر... والذي يهمنا منها الآن ما خرج علينا بـه الشـيـخ المفـتي بما لم يكن في الحسبان، وبما كنا ننأى به عن الوقوع في هذه الخطيئة.. إن الجديد في كـلام الـشيـخ أن خـيالـه قد سـرح وجـنح وتـصـور - أو صور له - إن البنوك قبل أن تنشأ في المجتمع الإسلامي جمع ولي الأمر علماء الأمة وخبراءها واستشارهم في أنظمتها ولما وجد أن ضمائر الناس قد فسدت قرر إلغاء شرط المضاربة ، وفـرض عـلـى الـبنـوك أن تحدد الفائدة مقدماً لأن ذلك هو الذي يصلح للمجتمع!!
ونسأل الشيخ : هل نظام البنوك في مصر يخـتـلف عن بقية بنوك العالم؟!
وهل جرى لكل بنوك العالم مثل هذه المراجعة والتقويم من ولاة الأمـر وهـم كـفار ؟! ثم متى كان هذا اللقاء بين ولي الأمر وعلماء الإسلام حين استشارهم في ذلك كمـا تـدعي ؟ ومن كان ولي الأمر حين أنـشئ بـنك بـاركـلـيز مثـلاً في مصر؟! وهل كان المجتمع الإسلامي وقت إنشاء البنوك فيه يملك قراره؟! ألم يكن مذلاً مقهوراً منبهراً بالحضارة الغربية ، والقوة الغازية الغالبة ؟
ومع ذلك ففي كلام المفتي مـغـالـطـات لا تخفـى عـلـى ذي بـصيرة ، فبالرغم من أن الشيخ يـعيـب على مـن يـتـوقـع الخسارة فـي عملـية المـضاربة بـأنه متشائم نجده هنا يفترض في المجتمع فساد الضمائر ويحسب نفسه بذلك متفائلاً ! ثم إنـه يحـكم المصلحة في النصوص بما يـؤدي إلى تعـطـيل جميـع النـصوص مـن وجهة نظر المصالح المعتمدة على الأهواء إن في الخمر مثلاً مصلحة ومنفعة ، بل فيها منافـع لـلناس كما صرح بذلك القرآن الكريم : فيها مصلحة للصانع وللبائع ، بل وللمتعاطي من وجهة نظـره ، فـهـل نلغي نص تحريم الخمر من أجل هذه المنافع؟!!! وهكذا في الزنا وفي غيره مما فصل الشرع فيه بحكم يتعارض مع بعض الأهواء والمصالح!!
ولقـد تـوقـعنا أن تـنشـر جريـدة الأهـرام الـتي أعـلن فيها المفتي في عدد 29/5/1991 حل المـعامـلات الـبنكية ما جاءها من ردود الغـيوريـن على الدين من العلماء الأثبات ؛ إذ هي التي أعلنت فـتح المجـال لـلمناقـشة ، ولـكنـها سكـتـت وأغلقت الباب الذي فتحته على مصراعيه للمفتي فقط ولم تسمح أجهزة الأعلام الرسمية الأخرى بـنـشـر مـا يخالف وجهة نظر المفتي لأنها ملتزمة برأيه فقط ، ولو كان الرأي المخالف صادراً مـن الإمـام الأكبر ومـن مجـمـع البـحـوث الإسـلامـية ومـن جامـعـة الأزهـر لدرجة أن نائب رئيس تحرير الأهرام الأستاذ رجب البنا يعلن بعد كلام المفتي تأييده لرأيـه مـلقـياً تـهـمة العمل لحساب البنوك الإسـلامـية وشركات توظيف الأموال

الإسلامية على كل من يعارض المفتي!! وهذا لون من ألوان الإرهاب الفكري الذي تمارسه أجهزة الإعلام ضد علماء الإسلام ودعاته.
على كلٌ فالذي يهمنا هو المسلم الذي يريد أن يرضي ربه ، ويريح ضميره ، ويعرف الشرع على حقيقته ، كما يهمنا أن نبلغ عن الله ، ونحذر من التمادي في معاصيه، ومن التعرض لحربه المعلنة حتى ننجو من مساءلة الله وعذابه, فالساكت عن الحق شيطان أخرس والنصيحة واجبة على كل مسلم لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم . من هنا نقدم هذا البيان للأمة من أقدس بقعة من الأرض من جوار بيت الله العتيق، ومن علماء الأزهر الذين استنفرهم الله -عز وجل- ليتفقهوا في دينه ولينذروا قومهم لعلهم يحذرون .
إن شريعة الإسلام محكمة خالدة ، لا يعتريها تحريف ولا تبديل ؛ إذ أحاطها الله بحفظه وقدرته ، ورد عنها كيد المحرفين الذين يريدون أن يخضعوها لأهوائهم ، وسخر لها من العلماء في كل جيل من ينفي عنها مغالاة الغالين وانحراف المضلين ، وكم من شبهة أثارها أعداء الله على مر الأجيال فوجدت من حراس الشريعة سهاماً نافذة قضت عليها ، وكم من رأي شاذ خارج عن إجماع الأمة قد فنده الراسخون في العلم ، وكم من تهمة ألقيت على تشريعات الإسلام فردها الله في نحور الكائدين .
ومن البديهيات التي لا تقبل المناقشة أن فكرة البنوك مبنية أساساً على المعاملات الربوية وأن وظيفة البنك -كما يحددها أهل الاختصاص الأمناء - ما هي إلا التعامل في الديون أو القروض أو الائتمان ، ويشمل هذا التعامل شقين : الأول : الاتجار في الديون والقروض والائتمان .والثاني : خلق الديون والقروض والائتمان .
والدين والائتمان هما وجها القرض، فمن وجهة نظر المدين يسمى ديناً، ومن وجهة نظر الدائن يسمى ائتماناً، ولذا يمكننا القول أن البنوك تتاجر في النقود، ولا تتاجر في النقود، وأنها امتداد السلوك اليهودي الذي كان مشهوراً لدى العرب وغيرهم ، حيث كان يضع اليهودي نقوده على المنضدة ليقرض المحتاج بفائدة تزداد بمضي المدة التي تبقى فيها النقود عند من يقترضها ، وقد بقي اسم البنك دالاً على هذه الصورة المقيتة، ومن البدهيات كذلك أن البنوك التجارية وهي أكثر البنوك العاملة في مصر وغيرها ما هي إلا واسطة بين المودع والمقترض : فهي تأخذ الوديعة من صاحبها وتحدد له نسبة مئوية سنوية معلومة من قيمة هذه الوديعة ، ثم تعطي هذه الوديعة لمن يريد استثمارها أو لمن هو محتاج إليها في ضروراته بنسبة مئوية سنوية أعلى والفرق بين النسبتين هو الذي يعيش عليه العاملون في البنوك ، وإذا شارك البنك في تأسيس شركة أو مصنع فإنه يشتري أسهماً محددة بنسبة ضئيلة يحددها القانون ويفرض على البنك أن يكون الجزء الأكبر من أمواله قابلاً للسيولة السريعة .

وعـلـى هذا يكون من الظلم والتعسف والافتراء افتراض أو تخيل أن البنك يـعـمـل بـنـظـام المضاربة الشرعي، فنظام البنوك في العالم متحد، والـمـضـاربـة الشرعية كما وضحتها كل أجيال الأمة المسلمة من العلماء والأئمة الأربعة ، وكما اعترف بها فضيلة المفتي في مقالاته الأربع ، وكما يعبر عنها ابن رشد في كتابه بداية المجتهد(1): "أجمـعـوا على صفتها أن يعطي الرجل الرجل المال على أن يتجر فيه على جزء معلوم يأخذه العامــل من ربح المال أيّ جزء كان مما يتفقان عليه : ثلثاً أو ربعاً أو نصفاً" وهذا الصورة المجمع عليها تشير إلى شرطين أساسيين في هذا العقد :
أولهما: أن الذي يأخذ المال يأخذه للاستثمار في التجارة أو الصناعة أو أي عمل مشروع .
ثانيهما : أن الجزء المعلوم المتفق عليه من الربح لا من رأس المال ، وأن هــذا الجزء شائع كالثلث والربع.
وهذان الشرطان لم يخترعهما الفقهاء برأيهم أو اجتهادهم كما يدعي الشيخ المفتي ، بل إن المعتمد الأساسي لهما هو النص ، وهو نص عملي لا يحتاج إلى تأويل ، والنص ممن أرسله الله -عز وجل- ليبين للناس ما نزل إليهم .
وليس صحيحاً ما قرره فضيلة المفتي بأن هذا الـشـرط - وهـو شـيـوع نصيب كل من المتعاقدين في الربح - ليس في كتاب الله ولا في سنة رسول الله ، وكان أولى بالشيخ وهو أستاذ سابق للكتاب والسنة في أعرق جامعة إسلامية أن يتريث ويحتاط ويبحث ولا يظـهـر عدم معرفته بالسنة ، إذ هل يستطيع أحد أن ينكر أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قـد تعاقـد مـع أهـل خيبر على شطر ما يخرج منها من تمر وزرع؟.
بل هل ينكر أحد ما رواه البخاري ومسلم بأكثر مــن رواية من النهي النبوي عن استئجار الأرض بتحديد ناحية معينة منها يكون نتاجها لصاحب الأرض ؟
لقد أخرجا في صحيحيهما عن رافع بن خديج قال: "كنا أكثر الأنصار حقلاً ، فكنا نكري الأرض على أن لنا هذه ولهم هذه، فربما أخرجت هذه ولم تخرج هذه فنهانا عن ذلك"(2) وروى مثل ذلك أيضاً أبو داود والنسائي والإمام أحمـد بألـفـاظ متقاربة .. وخـضـع الأئمة الأربعة والظاهرية لهذه النصوص النبوية المحكمة التي بينت الحكم والحكمة مـعـاً حيث نهى الرسول -صلى الله عليه وسلم- عن ذلك لما يترتب عليه من الظلم وعدم الـعـدل بين الشريكين ، وأكدوا هذا الشرط في المزارعة والمساقاة والمضاربة وسائر الشركات ، واعتبروه شرطاً شرعياً لا تجوز مخالفته، وليس شرطاً جعلياً للمتعاقدين حرية فيه، وأجمعوا علـيه، وما كان لهم أن يفعلوا سوى ذلك وهم القائلون : لا اجتهاد مع النص .
يقول الدكتور الشيخ عبد الرحمن تاج - رحمه الله - رداً على مثل هذه الفتوى وكأنه يرد الآن على المفتي الحالي:(3)

"وإذا كان اشتراط جزء معين من الخارج لصاحب الأرض في المزارعة قد حظرته الشريعة ، ونـهـى عـنـه الرســول -صلى الله عليه وسلم- لما فيه من الظلم والغبن بأحد الشريكـيـن المتعاقدين على الاشـتــراك في الربح والخسارة ، فلماذا يرد في وجه الأئمة الفقهاء قولهم بلزوم خلو العقد من ذلك الاشـتـراط الجـائـر الـظـالم ، وهـم لم يقــولــوه إلا تطبيقاً للسنة الصحيحة مدعماً بما تدل عليه نصوصها الصريحة؟!
وكـيـف يسوغ لمطلع على نصوص الشريعة ومواردها أن يقول في اشتراط ربـح محــدد لرب المال فـي الـمـضـاربة أنه جائز وغير مخالف للكتاب والسنة وإن كان فيه مخالفة لأقــوال الفقهاء ؟ (يلاحظ أن هــذا هــو مــا قـالـه المفتي حرفياً) أو لا يكفي النص على حظر ذلك الاشتراط ومنعه في المزارعة ونعلم أنه محظور وممنوع في المضاربة والمساقاة وغيرهما من فروع الشركات؟ وهل من حسن الظن بالشريعة العادلة أن يقال : إنها تمنع من الظلم والجور في شركة المزارعة وتبيح ذلك في شركة القراض ؟!"
وقد ساق الشيخ عبد الرحمن تاج -رحمه الله- مـع هــذه الـنـصـوص القاطعة إجماع علماء الأمة الذين لا يجتمعون على باطل فيما قاله ابن المنذر: "أجمع كـل مــن نحفــظ من أهل العلم على إبطال القراض (المضاربة) إذا اشترط أحدهما أوكلاهما لنفسه دراهم معلومة"(4).
وعلل هذا الإجماع الإمام ابن رشد بأنه إذا اشترطت دراهم معلومة فمن المحتمل ألا يربح غيرها فيستضر العامل ، ومن المحتمل كذلك ألا يربح مطلقاً فيأخذ من رأس الـمـال ومــن المـحتمل كذلك أن يربح كثيراً فيستضر من شرطت له الدراهم . ثم إن حصة العامل لما تعذر كونها معلومة المقدار كان لا بد أن تكون معلومة الأجزاء، فإذا جهلت الأجزاء ، فسدت .
وإذا كان المفتي يعترض على البنوك الإسلامية الحالية في أنها لا تحدد للمودع نصيبه من الربح بنسـبـة النصف أو الربع... فإننا نقول إن هذه البنوك ليست حجة على الشرع وإذا كانت تفعل ذلك فـنـحـن أيضـاً مـعـه، فـلـسـنـا بحمد الله ممن يحابي في دين الله أحداً ، وليست لنا مصالح خاصة تمنعنا من قول الحق والجهر به كما يدعي علينا الأهرام...
وهذا الإجماع من علماء الأمة كما يستند إلى السنة فـي نـصـوصـهـا الصريحة السابقة فإنه يعتمد أيضاً على القواعد الفقهية الثابتة بالتواتر ، ذلك أن جعل الربح في المضاربة محدداً كعشرة من مائة يتعارض مع القاعدة الفقهية: "الضرر يزال" تلك القاعدة المأخوذة من قول النبي -صلى الله عليه وسلم- في حديثه الصحيح عن أبي سعيد الخدري : " لا ضرر ولا ضرار ، من ضار ضره الله ، ومن شاق شق الله عليه" وبذلك يتبين بما لا مجال للشك فيه أن شرط كون الربح في المضاربة جزءاً مشاعاً معلوماً من واحد صحيح لكل من

المتعاقدين قد ثبتت بالسنة والإجماع والقياس والقواعد الفقهية ، وإن القول بغير هذا افتيات على الشرع ومخالفة للسنة الصحيحة وإجماع الأمة...
أما الشبهة التي أثارها الشيخ المفتي في أنه لو سلم جدلاً بهذا الـشـرط فإن الفقهاء قرروا في المضاربة الفاسدة أن للعامل أجر مثله ؛ وعلى هذا يكون ما أخذه الـبـنـك مــن الأرباح بعد خـصـم النسب المئوية التي يأخذها المودع هو أجرة المثل مهما بلغت.. فإننا هـنـا لا بـد أن نتوقف لنقــول للشيخ : إن فقدان هذا الشرط لا يجعل المضاربة فاسدة ، ولكنها باطلة كما نص عليه العلماء الفاقهون فيما سبق . ثم لو سلمنا جدلاً - كما هو أسلوبك - بأنها فاسدة فهل يحل للمسلم أن يقدم على عقد فاسد ؟! إن الإجماع أيها الشيخ منعقد على أن الإقدام على العقود الفاسدة حرام ، وإذا وقع وجب فسخه وإلا كان هذا العقد بعد الوقوع باطلاً ، يقول ابن رشــد: "واتفقوا على أن القراض الفاسد يجب فسخه ورد المال لصاحبه" . هكذا هم يتفقون على ألا يسـتـمـر الفساد لأن استمراره إصرار على مخالفة النهي النبوي ، ولكن فضيلة المفتي يريد أن يسـتـمــر الفـســاد فـي هذه المعاملة البنكية التي يدعي أنها مضاربة فاسدة!! ثم أليس في هذا الادعاء ليّ لأعناق الواقع الملموس؟! فمن الذي يأخذ من الصورة التي عليها تعامل البنوك أجر المثل هل هو البنك أم الـمـودع ؟ إن الذي حدد له مبلغه هو المودع فهل نجعل صاحب المال أجيراً عند البنك وهذا أجــر مـثـلـه أم العكس هو الصحيح على رأي فضيلته؟ .
إنهـا معاملة ربوية واضحة مهما حاول الشيخ بخيالاته وأوهـامـه الـتي سـاعــده علـيهــا المغرضـون ، وهي معاملة متحدة في كل بنوك الدنيا لم يؤخذ فيها رأي الإسلام.
الشبهة الثانية التي أثارها المفتي مبنية على فساد الذمم والضمائر لدى العاملين في البنوك فلهم أن يدعــوا أن الـمـضـاربة خسرت أو ربحت قليلاً فيضيع على المستثمر ربحه بل قد يضيع ماله كله ، وبناء على ذلك كــان لولي الأمر أن يعرض على البنوك تحديد الربح مقدماً وكان له أيضاً أن يحمل البنك ضمان ما عنده من مال إذا تلف.
وقد أشرنا سابقاً إلى هذه التهمة التي لسنا معه في وصم جميع الناس بفساد الذمم والضمائر فما زال الخير في المسلمين بحمد الله وسيظل ولا أدل على ذلك من إقبالهم واندفاعهم نحو الحلال ونفرتهم من التعامل بالربا، والإسلام يفترض دائماً في أبنائه الصلاح إلى أن يثبت عكس ذلك ، وبناءً على هذه الثقة يقول الفقهاء : "والعامل أمين فيما تحت يده ، وإن تلف المال في يده من غير تفريط لم يضمن ؛ لأنه ناب عن رب المال في التصرف فلم يضمن من غير تفريط كالمودع "(5). والأئمة الأربعة والظاهرية قد اتفقوا على ذلك ، بل صرح صاحب المغني بأنه : " متى شرط على المضارب ضمان المال أو سهماً من الوضيعة فالشرط باطل ولا نعلم فيه خلافاً "(6)

واستدلال المفتي بمسألة تضمين الإمام علّي للصناع للمحافظة على أموال الناس قياس أقل ما يقال فيه أنه فاسد ، لأنه :
أولاً: لا قيــاس مـــع الـنـص والإجماع الذي يقول عنه ابن قدامة إنه لا يعلم فيه خلافاً، ثانياً: لأن مسألة تضمين الـصناع - وهي الأصل المقيس عليه - مختلف فيها عند الفقهاء، بل إن إسنادها إلى علّي فيه مـقال ، ومعلوم أنه لا يجوز القياس على حكم مختلف فيه.
أما أنه حكم مختلف فيه فيقول الصنعاني في سبل السلام(7):"اختلف أهل العلم في تضمين الصناع فقالت طائفة هم ضامنون إلا أن يجيء شيء غالب وهــذا قول مالك. ثم قال: وروى عن علي أنه ضمن الأجير وفي إسناده مقال، ثـم قال: وقالت طائفة أخرى : لا ضمان على الصناع ، وروي هذا القول عن ابن سيرين وطاووس، ثم قال:والصحيح من مذهب الشافعي أنــه لا ضمان على الأجير إلا ما تجنيه يده" وما قيل في مسـألـة تضـمـيـن الصناع يقال في اسـتـدلاله بمسألة التسعير ، ذلك أن فضيلته يقول : "إن الأصل في التسـعـيـر ألا يجــوز لرفـض رسول الله إياه ، ومع ذلك أجاز كثير من الفقهاء لولي الأمر تسعير السلع إذا غالـى التجـــار أو احتكروا". ذلك أن الخلاف واضح من هذه المسألة بين الفقهاء ، وقد وضحه الشوكاني والـصـنـعـاني ، ومـا دام هنالك خلاف في مسألة فلا يجوز القياس عليها ، كما هو مقرر في علم الأصول .
ومما يستلفت النظر في مقال الشيخ المفتي أن في أسلوبه وأفكاره جنوحاً وتعمية:
1- يقول : ليست مسألة تحديد الربح وعدمه من العقائد والعبادات التي لا يجوز التغيير فيها، وإنما هي من المعاملات الاقتصادية التي تتوقف على تراضي الطرفين. ونحن نقول: إن التفرقة في تعاليم الإسلام بين العقيدة والعبادة والمـعـامـلـة مرفوضة من الأساس،فكل نص ورد في الكتاب والسنة وجب على كل مسلم أن يلتزم به مهما كان مجاله، وفي هذا الالتزام معنى العبودية لله تعالى ، فإقامة الحد على الـســـارق والزاني عبادة ، واعطاء الذكر مثل حظ الأنثيين في الميراث عبادة ، والتزام العدل في المعاملات عبادة، وما قسم الفقهاء أحكام الدين إلى عقائد وأخلاق وعبادات ومعاملات إلا ليسهل عل الدارس استيعابها، والا فهـل لأي مسلم أن يغير في غير العقائد والعبادات؟ أليست هذه العبارة تحمل فـي طياتها تفريغ الشريعة من مضمونها في حكم حركة الـحـيـاة الاجتماعية والاقتصادية بحجة أنها ليست من العقائد ولا الـعـبــادات؟!! ثم إن مسألـــة التراضي بين الطرفين ليست هي الأساس في أحكام الشرع ، فهل إذا تراضى رجل وامــرأة على الزنا يحول الزنا إلى مباح؟! إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نـهـي في الصحيح عن تلقي الركبان، ومعنى هذا أن أهل الحضر كانوا يتلقون أصحاب السلع قبل أن يصلوا إلى السوق؛ فيشترون مـنـهـم بالتراضي وبسـعـر يجهله صاحب السلعة ، فهل

كان التراضي هنا مبيحاً للمعاملة أم نهى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عنه بالرغم من التراضي؟!
2- يقول الشيخ: إن شريعة الإسلام تقوم على رعاية المصالح في كل زمان ومكان ، وإن بدا أنها تصطدم ببعض النصوص .
ونقول : نحن لا نـشـك في أن الشريعة تكفلت بمصالح الناس ، ولكننا لا نشك أيضاً أن في شرع الله نفسه ما يفي بـكـل مصالح البشر دون تغيير أو تحريف أو تبديل ، وما لم يرد في شرع الله فهو هوى ومصلحة فاسدة وهذا ما قرره الإمام الشافعي -رضي الله عنه- .
3- يقول:معلوم أن البنك لم يحدد الربح إلا بعد دراسة مستفيضة لأحوال الأسواق العالمية والأوضاع الاقتصادية وهو يتم بتوجيهات من البنك المركزي .
ونقول: هل يمكن للبشر أن يحيطوا بالغيب فيتوقعون الكوارث والنكبات بحجمها المقدر في علم الله؟ هل كان الاقتصاديون يتوقعون حرب الخليج وآثارها ؟. هل كانت الصين واليابان والفلبين وبنغلادش تتوقع البراكين والأعاصير التي اجتاحتها مؤخراً؟ ثـم كــيـف تـفـلـس البنوك العالمية مع دراستها لجدوى مشاريعها ، إن قصة بنك الاعتماد والتجارة الدولي ما زالت قيد البحث حتى الآن . وقصة بنك جمال ترست ماثلة للأذهان...!!
4- يقول: بمقتضى معرفة صاحب المال لحقه معرفة خالية من الجهالة ينظم أمور حياته .
ونقول: وهل يعتمد المسلم على ما سيأتيه من البنك ليعيش به ويترك العمل ؟ وهل يستطيع الـمـسـلم عن طريق البنك أو غيره أن يحدد رزقه وينظم أمور حياته؟ هـل هــذا يتفـق مـع العقيدة ؟
5- يقول : إن حدثت الخسارة لأسباب خارجة عن إرادة صاحب العمل سيتحمل صاحب المال عند الاقتضاء ما يجب عليه منها ، والذي يقرر ذلك هم رجال القضاء .
ونقول: إن العقود في الفقه الإسلامي بنيت على أسس متينة تحول دون حدوث شقاق بين المتعاقدين ، لأن مهمة التشريعات أن لا تترك ثغرة للتقاضي .
إن أسلوب الشيخ فـي مـقـالاتـه غير دقيق ، وغير علمي ، وموهم ، ويمكن أن يستند على بعض منه ذوو الأغراض السيئة ، والنوايا الخبيثة .
وإننا لنعجب كثيراً ونشفق على فـضـيـلـة الـمفتي وعلى المسلمين ، إذ هو يشككهم في أمور مجمع عليها ، بل تعتبر مما علم من الدين بالـضـرورة، وإذا تطـرق الـشـك إلى هذه الأمور وصــل الأمر حتما إلى هدم الشريعة من الأساس ، فهل يسمح لنا المفتي أن نـسـألــه : إذا كانت معاملة البنوك ليست ربوية فما هو الربا المحرم شرعاً ؟ فإذا قال : هو ما كان مبنياً على

الاستغلال، قلنا له: إن الاستغلال حكمة وليست علة ، والحكم لا يدور إلا مع العلة وجوداً وعدماً...
كما لنا أن نسأله : لقد سبق له أن أفتى بحرمة هذه المعاملات في الفتوى رقم 515/ 9989 فما الذي جعله يرجع عـن تلك الفتوى وهي التي تساير المجمع عليه؟ إن أغلب الظن أن الشيخ مضلل من قبل جـمـاعــة درست الاقتصاد على الأسس الربوية ، ولا ترى اقتصاداً يمكن أن يقوم على غيرها ، وليس لها تصور للمعاملات الإسلامية الصحيحة.. وإنا لننصح الشيخ مخلصين أن يرجع إلـى الله الـذي لا تـجــدي عنده التبريرات ولا الاعتذارات من الأتباع بأنهم كانوا مخدوعين أو مضللين من قبل المتبوعين ، فقد سمى القرآن الكريم التابع ظالماً فقال :
((وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَـاءَنِـي وكَـانَ الشَّـيْـطَـانُ لِلإنـسَـانِ خَذُولاً))
نـنـصـحـه أن يـعـلـن رجوعه عن فتواه الأخيرة فليس عيباً يذكر ولا سيئة تنكر أن يرجع الإنسان عن خطئه، فـالكـمـال لله وحده والعصمة للأنبياء ، وكل بني آدم خطاء ، وخير الخطائين التوابون ، ولنا فـي الصحابة قدوة وفي سلفنا الصالح أسوة ، وقد رجع عمر بن الخطاب عن توريثه في المسألة المشتركة ، ورجع ابن عباس في إباحة ربا الفضل حين تبين له الصواب ، فالرجوع إلى الحق فضيلة والحق أحق أن يتبع .
اللهم قد نصحنا لك ولدينك ، وأبرأنا ذمتنا ، اللهم فاشهد وأنت خير الشاهدين .

عنهم د. محمد المختار المهدي

الهوامش :

1- بداية المجتهد 2/262
2- نيل الأوطار 5/30
3- حكم الربا في الشريعة الإسلامية ص 24
4- المغني 5/148
5- تكملة المجموع 14/215
6- المغني 5/184
7- سبل السلام 3/45

خواطر في الدعوة

الحرص على الدعوة

محمد العبدة

هل نحن حريصون على الدعوة ونجاحها، وأن تكون هي الأقوى ، وهي المهيمنة . إذا كان الأمر كذلك ؛ فهل هناك حرص آخر يوازي هذا الحرص ويزاحمه ويدافعه ، وهو الحرص على المستقبل!! مستقبل العمل الوظيفي، مستقبل الأولاد ، تأمين المسكن المريح، والمركب المريح ، والوطن المريح .
إن واقعنا يدل على هذه المزاحمة والمدافعة إلا في القليل النادر . فالدعوة لا تشغل البال ولا تقيم الداعية وتقعده ، يفكر فيها ليل نهار ، كيف تنجح ، كيف تتقدم ؟ وما هي أسباب الفشل ، وما هي أسباب التأخر والضعف .
إن الدعاة يعلمون أن وحدة الصف ووحدة المنهج من أهم أسباب قوة الدعوة ، وأن تجميع الطاقات الفعالة المنتجة من أسباب قوة الدعوة ، فلماذا لا يفعلون ؟ وهم يعلمون أنه ليس للدعوة الآن كلمة نافذة وهيبة مرهوبة، وهيئة علماء يسمع ويستجاب لها ، فلماذا لا يسعون لتحقيق هذا ؟
إن أشد ما يتعجب له المرء حرص أصحاب البدع وأصحاب الباطل على نجاح دعوتهم ، فنراهم يجوبون البلاد طولاً وعرضاً لنشر بدعهم ومبادئهم ، يقول أحد دعاتهم : "وددت أن لو ظهر هذا الأمر يوماً واحداً من أول النهار إلى آخره فلا آسف على الحياة بعده" .
وما زلت أذكر من قراءاتي أن زعيم المعتزلة واصل بن عطاء قرر إرسال أحد دعاته المقربين إلى بلدة بعيدة ، وكان هذا الداعية تاجراً كبيراً فحاول مع واصل أن يرسل غيره ويدفع مقابل ذلك مبلغاً كبيراً من المال ، ولكن واصل رفض وأصر على ذهابه ، فما كان منه إلا أن استجاب!
والآن نشاهد الطبيب المسلم لا يرضى - إلا من رحم ربك - أن يبدأ عمله في قرية من القرى : فيساعد أهلها ويدعوهم إلى الالتزام بالإسلام .
فكيف إذا قيل له : اذهب إلى جبال أفغانستان أو إلى غابات آسيا وأفريقيا أو ارحل مع البدو حيث رحلوا؟! ونرى الشباب المتخرج من الجامعات الإسلامية يفضل العمل ولو وظيفة صغيرة في مدينة من المدن على أن يذهب إلى بلاد بعيدة هم بأشد الحاجة إلى أمثاله لتفشي الجهل أو البعد عن الإسلام كلية فالمشكلة إذن هي أن الكل يريد الاستقرار في المدن ، بل وفي العاصمة، فمن للقبائل ومن للقرى ومن لمسلمي العالم ؟
ونعود للسؤال الذي بدأنا به هذه الخاطرة: هل نحن - حقاً - حريصون على الدعوة ونجاحها ؟

التحقيق والمحققين (2)

محمد عبد الله آل شاكر

"يتابع الأستاذ محمد عبد الله آل شاكر وقفاته مع مدعي التحقيق ، وينبه إلى الاستهانة التي يرتكبها كثير ممن امتهن في هذه المهنة بكتب العلم وبأصول التحقيق والنشر العلمي."
- البيان -

- 5 -

أما إذا يممنا شطر كتب التفسير والحديث المحققة ، فإننا نلاحظ جهداً مشكوراً ، وعناية جـاوزت الحــد فانقـلـبـت إلـى الـضـد، مما أسميته" الكتابة على الهامش"، حيث تطغى الهوامش والحواشي على المتن ، دون ضـبـط الـنسبة بينهما ، فتجد أحدهم يخرج حديثاً واحداً في أربع صفحات ، وقد يكون من أحاديث الـشـيـخـيـن" البخاري ومسلم" مما قالوا عنه : إنه جاوز القنطرة، وهذا يريحنا من عناء البحث والتعب، فالثقة حاصلة بصحته.
ولكن بعض المحققين يحلو له أن يستعرض عضلاته على القراء، فـيـضـع كـتـب الـرجــال والـجـرح والتعـديـل فـي الـحـاشية ، مترجماً لكل راوٍ في السند حتى ولو كان من مشاهير الصحابة أو الأئمة ، ويتبع هذا مجموعة من المصادر للترجمة تتكرر في كل صفحة تقريباً ! كي يصل بعد هذا إلى الحكم على الإسـنـاد، وغـالـبـاً مــا يكـون مسبوقاً إلى هذا من الأئمة المحدثين والحفاظ . وكان من الأجدى والأيسر على القارئ أن يشـيـر إلى من فيه كلام من الرواة ، دون الكلام على سائر رجال الإسناد .
وقد نعتذر لهم عن هذه الظاهرة ، إذ قد يكون سببها أن الباحث بذل جهداً وأضاع وقتاً في مراجعة المصادر، فأراد أن يشرك القارئ معه ، ولم يضن عليه بالعلم ، فوضع كل ما قرأه في حاشية الكتاب ، سواء كانت الحاجة تدعو إلى ذلك أو لا تدعو إليه .
وهــذا وإن كــان يصلح فـي الأعمال العلمية بين جدران المعاهد والدراسات العليا (لإعداد رسائل الماجستير والدكتوراه) ، فما أظنه صالحاً عندما يعد الباحث رسالته للنشر في كتاب يطرح فـي الأسواق بين القــراء . مع مــا فـيـه من إضاعة للجهد ، ومن تكاليف باهظة في الطباعة ، وإعاقة عن إتمام التحقيق للكتب الكبيرة ، فضلاً عن تفريغ جيوب القراء وطلبة العلم والإثقال عليهم .
والأمثلة هنا كثيرة جداً ، تعز على الحصر، ومــن آخــر مـا اطلعت عليه مما يصدق عليه كلامنا هذا ، كتاب "مختصر استدراك الحافظ الذهبي على مستدرك أبي عبد الله الحكم" لابن الـملقن المتوفى سنة (804 هـ) في ستة أجزاء ، تحقيق ودراســة عـبـد الله بن حمــد اللحيدان، دار العاصمة بالرياض، 1411 هـ . تجد فيه المتن يقع في سطرين أو أكثر قليلاً، والـتـعـلـيـق والحواشي في (4) صفحات تبدأ بذكر سند الحديث عند الحكم ثم تخريجه ،

يليه دراسة الإسناد ثم الحكم على الحديث، وغالباً تكون نسبة المتن إلى الحاشية 40/1 ، فكل سطر يقابله أربعون سطراً في الحاشية .
وإليك المثال الثاني ؛ "تفسير ابن أبي حاتم الرازي " فتحت الكتاب ، دون قصد صفحة معينة ، فانفتح على الصفحتين (46 و 47) ، وفي أولاهما أثر ساقه المؤلف في تفسير قوله تعالى:((هو الذي أنزل عليك الكتاب)) عن سعيد بن جبير قال : "هو القرآن" . وفي الحاشية دراسة لرجال الإسناد ، ونتيجة لذلك تقع في (52) سطراً بحرف دقيق ، ويليها بيان درجة الأثر في (7) أسطر . فأنت أمام تسعة وخمسين سطراً بحرف صغير ، يعدل السطر منها ثلاثة في المتن ، والمتن لا يتجاوز السطرين بحرف كبير . فهل يستطيع القارئ أن يستخرج النسبة دون آلة حاسبة ! ترى ما هي حاجة القارئ إلى هذا الكلام كله عندما أصبح الكتاب متداولاً بين القراء وطلبة العلم ، ولم يعد رسالة علمية جامعية ؟ رغم الجهد الطيب المبذول لإخراج هذا الأثر النفيس ، وجزى الله العاملين المخلصين كل خير .
ولست أدري كم يستغرق إخراج هذا الكتاب كاملاً؟ وكذلك كتاب "شُعَب الإيمان" للبيهقي ، الذي يطبع في الهند ؟ وأمثالهما من الكتب والموسوعات !

- 6 -

ولعل تقاعس الهمم وفتور العزائم ، أو النفور من الأعمال الكبيرة التي تحتاج إلى وقت وصبر وجهد، جعلت بعض المحققين يصرفون عنايتهم إلى الأجزاء الحديثة الصغيرة، وهي غالباً لا تضيف جديداً إلى كتب الأصول والمصادر الأساسية المتداولة ، تلك التي لم يخدم أكثرها خدمة طيبة تليق بها ، إذا استثنينا ما قام به الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ، رحمه الله ، من جهد في إخراج عدد منها كصحيح مسلم ، وموطأ مالك ، وسنن ابن ماجه (رحمهم الله جميعاً) ، والشيخ أحمد شاكر في "المسند" للإمام أحمد .
والكتب الأصول أوْلى بالعناية والاهتمام والإخراج المتقن الذي يليق بها وبمكانتها ، وكم من هذه الكتب ، مما لا يزال مخطوطاً ، أو مطبوعاً طبعات قديمة رديئة ! يحتاج إلى عناية ! ومما يتصل بهذا: العناية بكتب "الزوائد" في الحديث، مع وجود الكتب الأصلية التي جُرِّدت زوائدها. فمع وجود "صحيح ابن حبان" مثلاً، لا ينبغي الاشتغال بزوائده، لئلا يكون ذلك على حساب عمل آخر أكثر أهمية ، ومع وجود "معاجم الطبراني الثلاثة" تقل أهمية زوائدها ، ما لم يكن في هذه الزوائد فوائد خاصة بها ، وقد كان لهذه الكتب أهميتها عند عدم وجود كتب الأصول ، ويصدق هذا أيضاً على " مختصر استدراك الذهبي على مستدرك الحكم "فهو تلخيص للملخص، وكان الأجدى العناية بالمستدرك نفسه. والطريف أن المستدرك يقع في أربع مجلدات ، وتلخيص التلخيص يقع في ستة مجلدات !

- 7 -

وفـي غـيـر كتب الحديث . نجد رسائل لا تتجاوز عشرين سطراً من المخطوط ، أو لا تبلغ ورقة منه ، فينفخ فيها المحقق ويحقنها بالدراسة والترجمة والتعليق ومنهج البحث ، وما شئت من هذه الألفاظ التي يتشدق بها ، فتفعل هذه الحقنة فعلها في تضخيم هذه الورقة أو الوريقات فتجعل منها كتاباً راشداً يستوي على قدميه .
وقد نجد لـمؤلف واحد مجموعة كبيرة من الرسائل ، يخرج المحقق لها كل رسالة بغلاف مستقل ، وكـان أولـى وأجــدى وأكثر حفظاً لهذه الرسالة ، لو أنه أخرج المجموعة كلها بكتاب واحد، مع دراسة موجزة وتحقيق وتوثيق، لئلا يتكرر هذا مع كل رسالة بمفردها .
وتجد مثلاً على ذلك في : "ذوق الطلاب في علم الإعراب" تأليف الشيخ محمد أحمد عبد القادر الحفظي ، تحقيق عـبـد الله مـحـمـد حـسـين أبو داهش . يقع الكتاب في صفحتين اثنتين مجرداً من الهوامش ، ومع الهوامش والتعليقات يبلغ (5) صفحات ، فإذا جمعتها مع المقدمات والتعريف بالكاتب بلغت (33) صـفـحـة . قــال المحقق : "وقد رأيت تحقيق هذا المخطوط سبيلاً للتعريف بأسرة آل الحفظي ، برجال ألـمـع ، ودعــوة لتحقيق تراثهم النادر.." ودون أن نتساءل عن قيمة هذا التراث - الذي اطلعت على نماذج محققة منه - لأنه يحتاج إلى دراسة ؛ ترى ما هي علاقة موضوع الكتاب بهذا الذي أراده المحقق ؟ ثم أليس بإمكانه أن يكتب كتاباً عن أسرة آل الحفظي وتراثهم، ثم يجمع هــذا الـتـراث فـي ضميمة واحدة ؟
ومـا يـصـدق هـنـا يصـدق على رسـائـل السـيوطي - التي كانت في طبعتها الأولى بمجلدين فأصبحت الآن مئات الكتب كل كتاب ورقـتين أو ثلاثة وقد يزيد - وكذلك في رسائل الملا علي القاري التي ظهرت أخيراً موزعة مفتتة، وهي في أصلها مجموع واحد!
ولعله لا يغيب عن ذهن القارئ : أن هذه الـمـلاحـظــات لا تعني التقليل من أهمية الكتب التي سبقت الإشارة إليها، ولا تعني إهمالها ، ولا أننا ننقـص أصحــاب الجهد ونبخسهم حقهم ، وإنما قصدت إلى توجيه العناية بالأمهات والبدء بالأولويات وتقــديم مــا هو أكثر أهـمـية على ما هو أقل في الأهمية . كما قصدت المحافظة على هذا التراث من الضـيــاع ، وعلى الجهد من أن يتبدد أو يذهب سدى .

- 8 -

وإذا كان من الأجدى أن يبدأ الباحثون من حيث انتهى غيرهم ، كما يستفيدوا من جهود السابقين ، ويتابعوا عملية إتمام البناء الذي سبقوا إليه ، فإنه من العبث ، ومن التجاهل لجهود الآخرين ، أن نقوم بتكرار العمل وإضاعة الجهد في كتب قد خدمت خدمة طيبة .

ويعرف الجميع ما قام به الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ، وما بذل من عناية في إخراج بعض كتب السنة، مما سبقت الإشارة إليه ، فمثلاً : أخرج "سنن ابن ماجه" في جزئين ، وحقـق نصوصه ، ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه ، وضبط كلماته ، وعلق عليه ، واقتبس خــلاصة مما كتبه البوصيري في "الزوائد" ، وصنع له الفهارس التي تعين على الاستفادة منه، مع عناية بالغة وإتقان في الإخراج. ومع هذا كله، فــإن أول كـتـاب اتجهـت إلـيـه عـنـايــة الـدكـتـور الأعظمي، من الكتب الستة، هو كتاب "سنن ابن ماجه" نفسه، فـقـد أخرجه في أربع مجلدات ، اثنان منها للفهارس ، مستعيناً بالحاسب الآلي . وما أظن أن هناك ما يسوغ هذا العمل رغم ما قد يكون فيه من استدراك على السابق ، ولكنه أمر يسير . ولعل الله يهيء له العمل لإنجاز مشروعه وقد اتجهت الجهود لما ينبغي أن تتجه إليه .

- 9 -

ومن صور العدوان على تراثنا العلمي والعبث به، ما قد يدعو إليه زعم التيسير والتسهيل، وكأننا أمة لم تخلــق إلا لهذا السهل اليسير الذي استمرأناه ، وليس من شأننا أن نرتفع بأنفسنا إلى مستوى الأمــة القـائـدة الرائدة التي لا تعبأ بالصعاب ، وتبذل كل جهد لتبقى متربعة على قمة المجد .
وباسم التيسير والتسهيل ، يعمد أحدهم ، وقد يكون فرداً أو مؤسسة ، إلى كتاب من كتب التراث فيغير ترتيبه ، فلا هو الكتاب الذي وضعه مؤلفه، ولا هو كتاب أنشأه مرتبه ، مع أن الكتاب الأول معروف منذ قرون متطاولة بشكله الأول، والـعـزو إلـيـه وهـو فـي صورته تلك ... ومن أقرب الأمثلة لهذا : "لسان العرب" لابن منظور الذي طبعته دار الـمـعـارف بمصر طبعة جديدة مرتباً على أوائل الكلمات كطريقة "أساس البلاغة" أو "المصباح المنير".

- 10 -

وبعد : فقد سبقتنا الأمم الأخرى أشواطاً كـثـيـرة في العلم المادي وفي الصناعة وغيرها، لو ركضنا ركضاً ما استطعنا - وهذا حالنا - أن نلحق بها ، فضلاً عن أن نسبقها ، ونحن في ذلك مقصرون ومفرطون تفريطاً معيباً ، فلا أدري لـماذا ينصرف إخواننا الكرام ، أصحاب المؤهلات والتخصصات العلمية ، عن تخصصاتهم ومجــال إبـداعـهـم رغـم حاجتـنـا إلـى جهـودهم، ينصـرفــون عـن هذا إلى مجالات أخرى، فيكتب الطبيب في الفقه والحـديـث، والمهندس في الجرح والتعديل، والكيميائي في التفسير، والشاعر الأديب يتحول إلى فقيه... بحجة أنه ليس في الإسلام "هيئة أكليروس" أو بحجة الاجتهـاد ومحاولة التقليد... هكذا دون احترام للاختصاص - ونحن في عصر التخصص الدقيق كمـا يقـولــون - ولا احـتـرام للعلم وأهـلـه ، وقد لا يملكون المؤهلات التي تؤهلهم لما يقومون به ، أو إن تكوينهم العلمي والفكري الــذي درجوا عليه ، قد لا يساعدهم على إتقان ما توجهوا إليه أخيراً - عندما عزفوا عن القـيـام بفــرض

كـفـائــي -، أو أنهم يفهمون عبارات العلماء وأقوالهم على غير وجهها ويضعونها في غير موضعها، فأصبحت تجد تعليقاً على حديث أخرجه مسلم، مثل هــذه الـعـبـارة "حسن على رأي من يقبل عنعنات الصحيحين ، وهما ابن صلاح والنووي" يعني أنه ضعيـف عـنـد غيرهما ! وهو من أحاديث الصحيح... وتجد أمثال هذه العبارة : " قال النووي - وليس كما زعم -" أي ليس كما زعم النووي -رحمه الله- ، وزعم مطية الكذب كما يقولون. فأين الأدب واحترام العلماء الذين أرشدنا إليه النبي -صلى الله عليه وسلم-؟ أم أن المحققين يشغلون أنفسهم بالسند دون العمل بالحديث!

وأسأل الله لي ولهم ولجـمـيع المسلمين الهداية والتوفيق ، و"أن يرزقنا فهماً في كتابه وسنة نبيه -صلى الله عليه وسلم- ، وأن يرزقـنــا قولاً وعملاً يؤدي به عنا حقه ، ويوجب لنا نافلة مزيده" . والحمد لله رب العالمين .

علماء الاجتماع والعداء للدين وللصحوة الإسلامية

(5)

هل تحتاج بلادنا إلى علماء اجتماع ؟

د. أحمد إبراهيم خضر

كشفنا فـي الحلقة الماضية كيف أن رجال الاجتماع في بلادنا قد أخذوا على عاتقهم مهمة تفكيك الدين سعياً وراء (وهم استقلالية العلم) ، وبينا كيف رأى رجال الاجتماع أن انتقاد الدين جــزء لا يتجـزأ مـن تـكـويـن العلم ، وأن صدام علم الاجتماع مع الدين لا يتجزأ من تكوين العلم ، وأن صدام علم الاجـتـمـاع مـع الدين أمر لا مفر منه ، وأنهما إذا التقيا فإن التقاءهما لا يكون إلا عبر صراعات . وشرحنا كيف أن رجال الاجتماع في بلادنا أرادوا أن يخضعوا الدين لتحليلاتهم وتفسيراتهم وتصـوراتهـم وفـي أذهـانهـم اعتقاد خاطئ بتصادم الـديـن والعلم في الإسلام كالحال في بلاد الغرب. وكشفنا أيضاً عن ربـط رجــال الاجـتـمـاع شرعـيـة ممارسـتـهـم للعلم باستمرار صدامهم مع الدين ، وعن أملهم في الانفلات من قبضة علماء الدين مثلما انفلت علماء الغرب من الكنيسة. وأخـيـراً أوضـحـنـا بـأن عــداء رجــال الاجـتـمـاع لـلـديـن مـرتبط بعداء الدولة له وعددنا الخطوات التي قامت بها الدولة لتمهد الطريق لرجال الاجتماع في أداء مهماتهم في تفكيك الدين .

هل تحتاج بلادنا إلى علماء اجتماع؟

الإجابة بلا قطعاً. لكن هـذه (اللا) لـيـسـت من عندنا. إنها من أفواه وأقلام علماء الاجتماع أنفسهم .

كان رجال الاجتماع في بلادنا ولا زالوا يتصــورون أنـهـم طليعة هذه الأمة وضميرها وأنهم القدوة والنموذج وأنهم الطلائع والضمائر . كانوا ولا زالــوا يعـتـقـدون أنهم لا يبالغون إذا تصوروا أنهم يملكون في أيديهم (عناصر الترشيد الضرورية) للمجـتـمـع وأنـهـم يستطيعون توصـيـف الـمـراحل التي يمر بها هذا المجتمع وتحليل قواه الاجتماعية الفاعلة، وأنــه بإمكانهم تقديم الـبدائل المتاحة أمامه (1) . لقد وصل الأمر برجال الاجتماع في بلادنا إلى الاعتقاد بأن الخبير منهـم يجب التبارك به (2) . نبع هذا التصور الذاتي الوهمي المبالغ فيه عند رجال الاجتماع مــن نظراتهم إلى المجتمع الذي لا يخرج عندهم عن مجتمع من الجهلة والأميين والمرضى والجائـعـيـن والـمـتـأخرين الذين على رجال الاجتماع تنميتهم وعلاجهم وعصرنتهم أو تغريبهم ، والإنسان العربي عندهم إنسان تقليدي متأخر متخلف (3) .
ما هي عناصر الترشيد الضرورية هذه التي يعتقد رجال الاجتماع أنهم يملكون مفاتيحها ؟ إنها أي شيء يمكن أن يكون إلا (الإسلام) .
إن من أبرز صفات هذا الإسلام أن الدين والعلم فـيـه مـتـسـاندان ولا يتصادمان كالحال في بلاد الغرب . ومع ذلك فإن من مسلماته الجوهرية (الإيمان بالـغـيـب) . الله تعالى نفسه (غيب) ، والملائكة والجن والشياطين والجنة والنار والبعث والحساب واليوم الآخر، كل ذلك (غيب) ولن يستقيم الإيمان إلا بالاعتقاد في هذا (الغيب). وإذا كــان عـلـم (الغــرب) قاصراً عن إثبات هذا الغيب فإن هذا ليس لعيب في الدين وإنما لعيب وقصور في العلم ذاته .
سار رجال الاجتماع في بلادنا وراء الغرب (حذو القذَّة بالقذَّة) ودخلوا وراءه (جحر الضب) الـذي تحـدث عـنـه الرسول -صلى الله عليه وسلم- ، ففصلوا بين الدين والعلم ، ورفضوا الإيمان بالغيب بحجة أنـه لا يستقـيـم مع العلم . الدكتور (أحمد الخشاب) هو أحد رواد علم الاجتماع في بلادنا . تتلمذ على يـديـه معظم من يشغلون الآن كراسي علم الاجتماع في جامعاتنا العربية . لقد علمهم أحمد الخشاب عناصر الترشيد الضرورية هذه التي يتحدثون عنها الآن . علمهم فصل الدين عن العلم ورفـض الإيـمـان بالـغـيب الذي يعده أيديولوجية تمثل إطاراً مرجعياً لتفسير تبريري تحكمه عقلية تسلطية رجعية . يقول أحمد الخشـاب في كتابه الذي خصصه لهذا الترشيد: "على أنه يجب أن نؤكد أننا نرفـض الـنـظـرة التقليدية للقيم الروحية التي تتمثل في مجموعة التصورات الطقوسية التي تحويها الساحة الدينية وتغـذيـهـا الأيـديـولـوجـيـة الغيبية.. ذلك لأننا نعلم عن يقين أن الأيديولوجية الغيبية كانت ولا تزال تمثل الإطار الـمـرجـعي للتفسيرات التبريرية للعقلية التسلطية الرجعية"(4) .
ويعتبر أحمد الخشاب من أوائل الذين حاولوا صياغة نظرية اجتماعية عربية وكان ذلك في عام 1970. وأول مسلمات هذه النظرية هو الإطاحة بما أسماه

(بالأطر العقائدية التقليدية) الـتـي رأى أنـهـا تـعـبـر عـن (طبيعة غير علمية) . اعتبر الخشاب أن هذه العقيدة من أهم العثرات التي تقف في وجه هذه النظرية المنشودة(5) .
ولنعد قليلاً إلى مرحلة ما قبل الخشاب . كان عام 1908 هو عام تأسيس أول جامعة أهلية علمانية في مصر ألقيت فيها أول محاضرات في علم الاجتماع (القانوني) . وكانت الفترة من عام (1924 إلى عام 1936) هي فترة التحول التدريجي لما يسمونه (بعلم الاجتماع العلمي) . وبفعل تأثير الأفكار التي حمـلـهـا (رفـاعــة الـطـهـطـاوي) والاحتكاك بالغرب في الحرب العالمية الأولى تدفق إلى مصر كمٌّ من الأفكار الجديدة التي قــال عـنـهـا رجـال الاجتماع في بلادنا إنها : (تحدت الأفكار القديمة وأعدت لمرحلة الانقطاع عن الماضي) أي (الإسلام) . شهد عام (1924) تأسيس الجامعة المصرية (جامعة القاهرة حالياً) وهي جامـعـة حـكـومية حـلـت مـحـل الـجـامـعـة الأهـلـية. ألقيت في هذه الجامعة أول محاضرات منظمة في علم الاجتماع . وكان من المنطقي مع تأسـيـس الـجـامـعـة الأمـريـكـيـة فـي القاهرة في منتصف العشرينيات تقديم برنامج منظم في علم الاجتماع ، وبذلك أحكم الأمريكيون مع العلمانيين في مصر ضبط خيوط تحقيق هذا الانقطاع عن الإسلام .
أما أول كراسي للأستاذية في علم الاجتماع فقد شغلها بالطبع أساتذة أجانب بارزون وعلى رأسـهـم إيفانز برتشارد (1932 -1934) ، وآرثر موريس هوكارت (1934-1938) أما في جامعة الاسـكـنـدريـة فقد شغل كراسي الأستاذية في علم الاجتماع اساتذة غربيون بارزون على رأسهم (راد كليف براون) و (ردنك أورلخ) .
لقد شهدت هذه الفـتـرة انـتـشـار الأفـكـار (الإلحادية) للفلسفة الوضعية (لأوجست كنت) وللمدرسة الفرنسية في علم الاجتماع وأفـكـار الـمـدرسـة الأنتربولوجية البريطانية والأفكار التحررية السائدة في الغرب (6) . وعن موقف هؤلاء الأساتذة الأجانب من الدين يكفي هنا أن نستشهد بمقولة هامة قالها قطب الأنتربولوجيا الشهير (ايفانز برتشارد) الذي كان أول من شغل كرسي الأستاذية في جامعة القاهرة والذي أشـرنـا إلـيـه في الفقرة السابقة ، يقول برتشارد في عام 1959 :
"إن الأنتربولوجيين بصفة عامة ذووا اتجاهات سلبية عدائية كئيبة ضد الدين. إن العلماء الأوائل الذين أثروا في الفكر الأنتربولوجي لاكثر من قرن كامل يوقنون تماماً بعدم مصداقية الـديـن المنزل وأن كل العقائد نسبية. ورأى علماء القرن التاسع عشر أن الدين غير حقيقي وعديم الفائدة ويجب استئصاله والتقليل من آثاره وإنقاص هيبته بالتقدم العلمي ، وحينما تحقـقـوا من الوجود العام للدين عبر التاريخ الإنساني حاولوا أن يشرحوا ما اعتبروه

وهماً برده إلـى عـوامــل نفسية... إن معظم البارزين من علماء الأنتربولوجيا لم يكن لهم اعتقاد ديني لأن العقائد كلها عندهم مضللة"(7).
نما علم الاجتماع في بلادنا بصورة سريعة لتحقيق هذا الانقطاع عن الدين وعن الإسلام . عرّف علم الاجتمـاع موضوعاته وأهدافه وإمكانياته . وإذا قيست الفترة الزمنية التي رسخ فيها هذا العلم فـي الجامعات العربية فإن نموه ولو مقيساً فقط بعدد خريجيه ليشكل تقدماً ملحوظاً لم يصل إليه نظيره في الجامعات الغربية والشرقية قي الفترة نفسها(8).
شهد علم الاجتماع في تطوره الأكاديمي التنظيمي مراحل توسع ضخمة تركز أكثرها خلال السبعينيات حيث أنشئ عدد كبير من أقسام الاجتماع في الجامعات العربية سواء في مصر على امتداد رقـعـتهـا مـن القاهرة حتى أسوان ، أو على امتداد الوطن العربي من الكويت وبغداد والدوحة والإمارات شرقاً حتى فاس والرباط غرباً ، مروراً بكل الجامعات الكبيرة والصغيرة حتى تلك الجـامـعـات التي يطـلـق عـلـيـها (محمود الجوهري) أستاذ الاجتماع بجامعة القاهرة "بالجامعات الدينية" كجامعة الأزهر وجـامـعـة الإمــام محـمـد بن سعود الإسلامية(9) .
وهنا تكمن الكارثة الكبرى وهي غزو علم الاجتماع لما يسمونه بالجامعات الدينية. وسنستشهد هـنـا بنمــوذج واحد لبيان ضخامة حجم هذه الكارثة . هذا زيدان عبد الباقي أستاذ علم الاجتماع بكلية البنات بجامعة الأزهر يقول لطالباته :
"هذا وتواجه البلاد الإسلامية مشكلة مختلفة تماماً تدور حول جمود التقاليد الدينية الأمر الذي يتعارض مع التغـيـيـرات التكنولوجية... ذلك أن الإسلام قد فرض كثيراً من الأوامر والنواهي على معتنقيه الأمــر الـذي يـتـعـارض مـع أي تـغـيـيـر يسـتـهـدفه التقدم العلمي والتكنولوجي.. وإذا كان من المتفق عليه أن العقيدة الدينية تتطابق مع كل نمـوذج معقــول من الفكر فإن غاية واحدة لطيف أنوار العقيدة الدينية تجعل السحر بمثابة العنصر السائد للدين"(1)..
لم يكــن باستطاعة علم الاجتماع في بلادنا أن ينمو دون أن يقدم مزاعم عريضة عن فائدته المجتمعية العامة وأهلية ممارسيه ، واحترافهم فلم يتردد مؤسسوه ودارسوه أن يعلنوا منذ البداية بأن علمهم يعد" وصفة طبية ناجحة" لعلاج جميع أمراض مجتمعهم (11).
ولهذا فـإنـه فـي خـلال نـصـف القـرن الأخير دخل علم الاجتماع ضمن مناهج الدراسات الجامعية في أقسام وشعب متخصصة يـصـل عددها إلى حوالي ثلاثين شعبة ، وبعد أن كان يدرس في البداية على أيدي هواة من المتخـصـصـين في فروع معرفة أخرى سرعان ما أصبح تدريسه على أيدي متخصصين في علم الاجتماع ذاتــه يـصـل عددهم بمعيار الحصول على الـدكـتوراه إلى حوالي المائتين . ويصل عدد الطلاب المتخصصين فـي عـلـم

الاجـتـمـاع فـي الجامـعـات والكـلـيات العربية حتى الآن إلى حوالي عشرة آلاف طالب يتخرج منهم سنوياً حوالي ألفي طالب . كما يوجد في الوطن العربي ما لا لم يقل عن خمسة عشر مركزاً بحثياً في علم الاجتماع أو بعض فروعه. ويظهر في المتوسط حوالي مائة كتاب سنوياً يؤلفها أساتذة الاجتماع العرب بالإضـافـة إلى مئات من الأوراق المقالات والتقارير البحثية والاستشارية ، علاوة على عشر مجلات أكاديمية متخصصة في علم الاجتماع (12).

وبعد سبعة وسبعين عاماً مـن هــذا الـنـمــو والازدهــار والتضخم الكمي والمؤسسي في علم الاجتماع (المنقطع عن الإسلام) اجتمع رجال الاجـتـمــاع الـعــرب في تونس وبالتحديد في يناير1985 لمناقشة محصلة هذا الانقطاع وهل أثمر التخريب المتعمد للنسيج الاجتماعي في بلادنـا وذلك في ندوة بعنوان (نحو علم اجتماع عربي). كــان أهم نـتـائــج هــذه الـنــدوة الاعـتـراف الـصـريح بالفشل الذريع الذي تجسد في إجاباتهم على سؤال طرحوه بأنفسهم هو: "هل يستطيع الـوطــن الـعـربي أن يعيش ويزدهر بدون علماء اجتماع؟" اعترف رجال الاجتماع ويعتصرهم الألم الشديد اعـتـرافاً جلياً بأن بلادنا ليست في حاجة إليهم ، وأنها ليست في حاجة إليهم الآن كما لم تكن في حاجة إليهم في الماضي .

وهذا هو نص اعترافات سعد الدين إبراهيم الأستاذ بالجامعة الأمريكية بالقاهرة يقول فيها مجيباً على السؤال السابق :

"راودني هذا السؤال منذ سنوات وأنا أفـكـر في كتابة هذه الدراسة التي أشارك بها زملائي المشتغلين بعلم الاجتماع في الوطن العربي . وكنت قد قررت أن تكون مساهمتي المتواضعة في هــذه الـنـدوة جـولــة صــريـحـة فـي أعماق الضمير السوسيولوجي، إن كان ثمة ضـمـيـر سوسيولوجي...
وحتى لا أطيل في المقدمات فإن إجابتي الشخصية عن السؤال بكل الصدق المؤلم هي أنه (نعم). نعم يستطيع مجـتـمـعـنا أن يعيش وبتقدم بلا علماء الاجتماع العرب، ولكي أخـفــف عـلـى نفسي ألم هذه الإجابة حاولت توجيه هذا السؤال نفسه بالنسبة إلى فئات أخرى فـي المـجـتـمـع ، وخلصت إلى أن هناك فئات عديدة لا يستطيع المجتمع أن يعيش بدونها أهمها : الفـلاحــون والـعـمـال ورجــال الإدارة والجيش ، وأن هناك فئات أخرى لا يستطيع المجتمع أن يتقدم بدونها أهمها: الـمـهـندسون والأطباء والعلماء وخبراء التكنولوجيا والاقتصاد.. أما علماء الاجتماع والأنتروبولوجيا والـنـفـس والسياسة والإعلام والآثار وفئات أخرى عديدة فيمكن للمجتمع أن يعيش ويتقدم بغيرهم .
وبشكل آخر لو وضعنا السؤال : ماذا يحدث للوطن العربي إذا اختفى كل علماء الاجتماع فجأة ؟

والإجابة هي: لا شيء سيحدث للمجتمع سلباً أو إيجاباً ، وينطبق ذلك على فئات مهنية أخرى كما ينـطـبـق عـلـى مجتمعات أخــرى عديدة . وبالمقابل هناك مجتمعات تقدمت في العصر الحديث دون أن يوجد فيها فئة مـهـنـيــة تـسـمـى علماء الاجتماع مثل اليابان إلى ثلاثينيات هذا القرن ، والصين إلى عقود متأخرة من هذا القرن. كذلك ليس هناك ما يثبت قطعياً أن بريطانيا وألمانيا وفرنسا والولايات المتحدة ما كــان لـهـا أن تتقدم خلال القرنين الأخيرين لولا وجود علماء الاجتماع فيها . وما أريد أن أخلص إليه هو أن علماء الاجتماع كفئة مهنية متخصصة ليست ضرورية في المجتمع الحديث وبالطبع ، لم تكن ضرورية في المجتمع التقليدي"(13) .

لم يكن هذا الاعتراف الصريح والمؤلم هو الاعتراف الوحيد لمحصـلـة (الـثـورة على الـدين والانقـطــاع عن الإسلام) إنما كانت هناك لرجال الاجتماع اعترافات أخرى لا تقل شدة في إيلامها وقسوتها عن هذا الاعتراف نترك الحديث عنها للعدد القادم إن شاء الله .

"يتبع"

الهوامش :

1- سعد الدين ابراهيم ، علم الاجتماع وقضايا الإنسان العربي ، (نحو علم اجتماع عربي) الكتاب السابع من سلسلة كتب المستقبل العربي، مـركــز دراســات الوحدة العربية، بيروت 1986 ص209 ، انظر أيضاً سعد الدين إبراهيم ، تأمل الآفاق المستقبلية لعلم الاجتماع في الوطن العربي (نحو علم اجتماع عربي) ص 356.

2- عـبـد الوهاب بوحديبة، ندوة : نحو علم اجتماع عربي المنعقدة في أبو ظبي من 24-28 أبريــل 1983 منشورة في الكتاب السابق (نحو علم اجتماع عربي) ص 388.

3- محمد شقرون ، أزمة علم الاجتماع أم أزمة المجتمع ، (نحو علم اجتماع عربي) ص 77-78.

4- أحمد الخشاب ، الاجتماع التربوي والإرشاد الاجتماعي ، القاهرة ص 495-496 .

5- عبد الباسط عبد المعطي ، اتجاهات نظرية في علم الاجتماع ، عالم المعرفة ، الكويت 1981 ص 283-284 .

6- EZZAT HEGAZY, Contemporary Sociology in Egypt , Raji Maham and Don Martindale , Handbook of Contemporary Developments in World Sociology , London , 1975 p.380.

7- John Saliba , Religion and Anthropology , Anthropologica , 18 , 1976 p.179.

8- سـالم ســاري، الاجتماعيون العرب ودراسة القضايا المجتمعية العربية، (نحـو عـلـم اجتماع عربي) ص 185

9- محمد الجوهري، الكتاب السنوي لعلم الاجتماع، العدد الأول، دار المعارف، القاهرة ص 11.
10- زيدان عبد الباقي ، ركائز علم الاجتماع ، دار المعارف القاهرة ، 1975 ص 256 ، 446 .
11- سلام ساري ، المرجع السابق ص 185 .
12- سعد الدين إبراهيم ، تأمل الآفاق المستقبلية ، المرجع السابق ص 345
13- المرجع السابق ص 343-344

لماذا نرفض العلمانية ؟

محمد محمد بدري

ظهر مصداق قول رســول الله -صلى الله عليه وسلم- : "بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء" رواه مسلم ، وأصبـح واقع الأمة الإسلامية يقرر أن غربة النبي -صلى الله عليه وسلم-، وأسرة ياسر، وبلال وغيرهم، قد عادت للذين يقولون : ربنا الله ، لا قيصر ، والحاكـمـيـة لله ، لا للبشر،... وغـابـت رايــة الإســلام عــن أرض الإســلام وحكمتها نظم علمانية لا دينية، حتى أصبحت الدعوة إلى أن يكون الإسلام بكتابه الكريم ، وسـنـة رســولـه الأمـيـن - صلى الله عليه وسلم - أساس الحكم ، جريمة في أكثر دول العالم (الإسلامي) تحاكم عـلـيـهـا قوانين تلك البلاد بالإعدام بتهمة تغيير شكل النظام؟!.

ولقد كان مما ساعد على استقرار تلك الأوضاع غياب الكثير من حقائق الإسلام وبديهياته، ومن أظهرها أن وجوب الحكم بـمـا أنــزل الله عقـيــدة لا يكـون المسلم مسلماً إذا تخلى عنها، وأن التشريع بغير ما أنزل الله ، والرضى بشرع غير شــرع الله هـو شرك مخرج من الملة .

ولـما كان بيان الحق وإبلاغه للخلق أمانة في عنق كل من علم شيئاً من حقيقة هذا الدين ، فقد كتبت هذه المقالة :

بياناً لحقيقة العلمانية ، بكشف المخبوء من حقيقتها، وتعرية المستتر من أسرارها ، وإضاءة الـمـنـاطــق المعتمة في حركة العلمانيين ودعوة للنجاة في الدنيا والآخرة ، بقبول شرع الله، ونـبذ كل شريعة يقوم عليها علمانيون يقفون في طريق الإسلام والتوحيد الخالص ، وكأنهم أرباب زائفون . وليكون ذلك ميلاداً جديداً للفرد المسلم والأمة المسلمة ، الأمة التي تحمل رسالتها إلى كل البشرية بالنجاة من الشرك... تلك الرسالة التي عبر عنها في بساطة ربعي بن عامر رسول قائد المسلمين إلى رستم قائد الفرس ، هذا يسأله ما الذي جاء بكم ؟ فيجيب للتو واللحظة:... الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده.

أولاً : العلمانية... وحكم الجاهلية :

حاول اعداء الإسلام القضاء على الإسلام عن طريق نشر الإلحاد... وفشلوا..وحاولوا صرف الناس عـن الإسـلام عـن طـريـق الشـيـوعـيـة.. وفـشـلـوا .. وأحس الأعداء اليأس من هذا الدين..ولكنهم، بـعـد التـفـكـر والـتـدبـير، لجأوا إلى طريقة أخبث (لجأوا إلى إقامة أنظمة وأوضاع تتزيا بزي الإسلام ، وتتمسح في العقيدة ، ولا تنكر الدين جملة ، بل تعلن إيمانها به إيماناً نظرياً واحترامها له كعقيدة فـي الحنايا ، وشعائر تؤدى في المساجد،..أما ما وراء ذلك من شؤون الحياة فمرده - بزعمهم - إلـى إرادة الأمــة الـحــرة الطليقة التي لا تقبل سلطاناً عليها من أحد!!!

ولما كانت حقيقة العلمانية قـد تخفــى عـلى كثير من المسلمين ، فإنه من واجبنا أن نفضح هذه العلمانية عبر نظرة نلقيها عليها لنتبين من خلالها ما هي العلمانية ؟ وكيف نشأت ؟ لمن حق التشريع المطلق في نظمها ؟ وما هي الشريعة التي تحمل الأمة على التحاكم إليها ؟

1- العلمانية.. التعريف والنشأة :

لـفـظ العلمانية ترجمة خاطئة لكلمة secularism في الإنجليزية ، أو secularite بالفـرنـسـيـة، وهي كـلـمــة لا صـلـة لـهـا بلفظ العلم ومشتقاته على الإطلاق... والترجمة الصحيحة للكلمة هي اللادينية أو الدنيوية، لا بـمـعـنــى مــا يقابل الأخروية فحسب بل بمعنى أخص هو ما لا صلة له بالدين ، أو ما كانت صلته بالدين علاقة تضاد ..

وفي دائرة المعارف البريطانية مادة secularism : هي حـركــة اجـتـمـاعية تهدف إلى صرف الناس وتوجيههم من الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بهذه الدنيا وحــدهـا(1). ولذلك فإن المدلول الصحيح لكلمة (العلمانية) هو: فصل الدين عن الدولة أو هو: إقامــة الحـيــاة على غير الدين ، سواء بالنسبة للأمة أو الفرد ، ثم تختلف الدول أو الأفراد في موقفها من الدين بمفهومه الضيق المحدود ، فبعضها تسمح به ،...وتسمى العلمانية المعتدلة، فهي - بزعـمـهــم - لا ديـنـيـة ولكنها غير معادية للدين ، وذلك في مقابل المجتمعات الأخرى المضادة للدين... وبدهيّ أنه لا فرق في الإسلام بين المسمين ، فكل ما ليس دينياً من المبادئ والتطبيقات فهو فـي حقـيقـته مـضـاد للدين ، فالإسلام واللادينية نقيضان لا يجتمعان ولا واسطة بينهما(2). وإذن فالعلمانية دولـة لا تقــوم عـلـى الـدين ، بل هي دولة لا دينية ، تعزل الدين عن التأثير في الدنيا ، وتحمل الأمة على قيادتها للـدنـيـا فـي جميع النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية والقانونية وغيرها بعيداً عــن أوامــر الدين ونواهيه . والعلمانية دولة لا تقبل الدين إلا إذا كان علاقة خاصة بين الإنسان وخالقه ، بحـيـث لا يكون لهذه العلاقة أي تأثير في أقواله وأفعاله وشؤون حياته.

"ولا شــك أن هذا المفهوم الغربي العلماني للدين على أنه علاقة خاصة بين العبد والرب ، محلها القلب ، ولا علاقة لها بواقع الحياة... جاء من مفهوم كنسي محرّف شعاره "أدَّ ما لقيصر لقيصر، وما لله لله" ، من واقع عانته النصرانية خلال قرونها الثلاثة الأولى ، حين كانت مـضـطـهـدة مـطـاردة مـن قـبــل الامبراطورية الرومانية الوثنية فلم تتمكن من تطبيق شريعتها ، واكتفت بالعقيدة والشعائر الـتـعـبـديـة اضطراراً واعتبرت ذلك هو الدين ، وإن كانت لم تتجه إلى استكمال الدين حين صار للبابـويــة سلطان قاهر على الأباطرة والملوك، فظل دينها محرفاً لا يمثل الدين السماوي المنزل ، فلما جاءت العلمانية في العصر الحديث وجدت الطريق ممهداً ، ولم تجد كبير عناء في فصل الدين عن الدولة"(3)، وتثبيت الدين على صورته الهزيلة التي آل إليها في الغرب .
وإذن فـالـعـلـمانية : رد فعل خاطئ لدين محرّف وأوضاع خاطئة كذلك ، ونبات خرج من تربة خبيثة ونـتـاج سـيـئ لـظـروف غير طبيعية ، فلا شك أنه لم يكن حتماً على مجتمع ابتلي بدين محرف أن يخرج عنه ليكون مجتمعاً لا دينياً ، بل الافتراض الصحيح هو أن يبحث عن الدين الصحيح.. فإذا وجدنا مجتمعاً آخر يختلف في ظروفه عن المجتمع الذي تحدثنا عنه ، ومع ذلك يصر على أن يـنـتـج الـلادينية ويتصور أنـهـا حتم وضرورة فماذا نحكم عليه؟(4)
فقط نثبت السؤال ، ونترك - لا نقول لكل مسلم - بل لكل عاقل الإجابة عليه!
أمــا نـحـن فنكرر هنا أنه لا يوجد دين جاء من عند الله هو عقيدة فقط ، والدين الذي هو عقيدة فـقـط "أو عقيدة وشعائر تعبدية، دون شريعة تحكم تصرفات الناس في هذه الأرض ، هو دين جاهلي مزيف لم ينزل من عند الله"(5).

2- العلمانية..وحق التشريع المطلق :

فـي مـسـلـسـل نـبـذ الشريعة الإسلامية ، وفصل الدين عن الحياة في دار الإسلام ، كانت الحلقة الأخيرة هي النص فـي دسـاتـيـر الدول في العالم الإسلامي على تقرير حق التشريع المطلق للأمة من دون ،الله ، ونصت بعـض الدساتير على اعتبار رئيس الدولة جزءاً أصيلاً من السلطة التشريعية . واكتفى البعض الآخــر بالـنـص على الحقوق التي يمارسها رئيس الدولة في مجال التشريع وهي حق الاقتراح ، وحق الاعـتـراض أو الـتـصـديـق. فالأنظمة العلمانية تقر بالسيادة المطلقة للأمة، وتنص في دساتيرها على أن القانون هــو التعـبـير عن إرادتها المطلقة... فالأمة - بزعمهم - هي التي تقرر الشرائع التي تحكم بها، وحقـهـا في ذلك بلا حدود!!
ولا شــك في أن هذا في حقيقته هو الإقرار بحق التشريع المطلق للأمة لا ينازعها فيه منازع ولا يـشـاركهــا فـيه شريك.. فما تحله هو الحلال وإن اجتمعت على حرمته كافة الشرائع السماوية، وما تحـرمــه هو الحرام وإن

اتفق على حله كل دين جاء من عند الله. ذلك أن الأمة في الأنظمة العلمانـيـة هي مـصـدر الـتشـريع ، وما يصدر عنها هو القانون. "والقانون ليس بنصيحة ولكنه أمر، وهو ليس أمراً من أي أحــد، ولـكـنـه أمــر صــادر ممن يدان له بالطاعة ، وموجه إلى من تجب عليه تلك الطاعة"(6).
وإذا كــان سـلـطـان الأمة يتجسد في السلطة التشريعية ، والتنفيذية ، والقضائية فإنه "لا يوجد قانون بالمعنى الصحيح إلا إذا صدر عن السلطة التشريعية في الحدود التي رسمها له الدستور ، وكلـتـا السلطتين التشريعية والقضائية بهذا الاعتبار مشتركتان في الخضوع لسيد الكل..ألا وهو الدسـتـور..الذي يجب أن يحني الجميع أمامه رؤوسهم صاغرين.."(7).
وتأمل معنى هذه الكلمـات ، وقل معي : رحم الله ابن تيمية... القائل : "إن الإنسان أمام طريقين لا ثالث لهما ، فإما أن يختار العبودية لله.. وإما أن يرفض هذه العبودية فيقع لا محالة في عبودية لغير الله".(8)

3- العلمانية.. والمصدر الرئيسي للتشريع :

هناك شـبـهــة قد يشوش بها العلمانيون ، وهي أن بعض الدساتير العلمانية تنص على أن الشريعة الإســلامـيــة هي المصدر الرئيسي للتشريع.. مثل دستور مصر الذي جاء في مادته الثانية: أن الشريعة الإســلامـيـة هي المصدر الرئيسي للتشريع... ونحن نقول في الرد على هذه الشبهة : - إننا لا نحكم إلا بـمـا نـعـلــم ، ولا نجزم إلا بما نرى المحاكم الوضعية تمارسه صباح مساء،.. فهذه المحاكم لا تزال ملــزمة قانوناً بتطبيق القوانين الوضعية، ولا يزال القضاة في هذه المحاكم غير قادرين بأي حــال مــن الأحــوال عـلـى تطبيق الشريعة الإسلامية .
فـفـي قـضـيـة اغتيال السادات أسس الدفاع عمله على الدفع بعدم الدستورية لأن نصوص القوانين مخالـفــة لأحـكـام الـشـريعة الإسلامية التي تعتبر المصدر الرئيسي للتشريع وفقاً لأحكام المادة الثانية من الدستور الـصـادر عـام 1971 ، والمعدلة عام 1980.. فماذا قالت المحاكمة في ردها على ذلك ؟
جاء في رد المحاكمة : ".. رداً على هذا الدفع ، فإن المحكمة تشير بادئ ذي بدء إلى ما هو مستقر من أن قواعد التفسير للنصوص تأبى تأويل النص أو تحميله أكثر مما يحتمل إذا كــان واضـحــاً لغوياً فعبارة (المصدر الرئيسي للتشريع) لا تمنع لغوياً وجود مصادر أخرى للتشريع ، وهو نـفــس مـفـاد النص قبل تعديله"(9). أرأيتم..إن المحكمة تؤكد أن العبارة شركية ، وأنها تنص على وجود مصادر أخرى غير الشريعة الإسلامية .
ولماذا نذهب بعيداً ؟ لقد حــدث بالفـعل أن حكم قاضٍ بالجلد في جريمة سكر، متأولاً هذه المادة من الدستور... فماذا كانت النَتيجة ؟

لقد أُبِطل حكمه ، وأقصي عن القضاء . وكان مما ذكره رئيس محكمة الاستئناف في أسباب بطلان هذا الحكم ما يلي :
1- إن من قـضــى بـذلك فـقـد حنث في يمينه القضائي الذي أقسم فيه على الحكم بالعدل واحترام القوانين،... والعـدل كـما يقــول رئـيـس محكـمـة الاستئناف : يعـنـي أن يقضي القاضي في الواقع المعروض بالعقوبة الملائمة في حدود القانون المطبق.. ثم يضيف قـائـلاً : فـقـضـاء المحـكـمة بقانون آخر غير القوانين المطبقة في ذلك حنث باليمين ، فما بالك بمن طبق أو يخترع قانوناً يعلم أنه غير معمول به!!
2-...وجنائياً لا يجوز ، ولا يقبل من القاضي أن يجرم فعلاً لا ينص القانون على اعتباره جريمة، ولا يجوز له ولا يقبل منه أن يقضي بعقوبة لم ينص القانون عليها .
3-إن مصدر هذا القانون لم يعرف شيئاً عن علم العقاب ، فقد (شدد) الـمـشـرّع الوضعي في العقـوبـة وجعلها ستة أشهر حماية للمجتمع، وهذا أحفظ من مجرد الجلد ثمـانـين جلدة. (10)
أرأيت - أخي الـمـسـلم - إن هذه العلمانية ترى أن التشريع الوضعي أحفظ لأمن المجتمع من الشريعة الإسلامية .. وأن القاضي الذي حكم بالجلد لم يعرف شيئاً عن علم العقاب.. وهكذا.. وكأن القوم يقـولون إن الله - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً -لا يعرف شيئاً من علم العقاب عندما أكتفى بمجرد الجلد على السكر... سبحانك هذا بهتان عظيم .
ومن الذي يجرؤ على ادعـــاء أنه يشرع للناس ، ويحكم فيهم خيراً مما يشرع لهم ويحكم فيهم ربهم سبحانه؟ وأية حجة يملك أن يسوقها بين يدي هذا الادعاء العريض ؟.. أيستطيع أن يقول إنه أعلم بالناس من خالق الناس؟ أيستطيع أن يقول : إنه أرحم بالناس من رب الناس ؟ أيستطيع أن يقول : إنه أعرف بالناس ومصالح الناس من إله الناس ؟... أيستطيع أن يقول : إن الله سبحانه وهو يشرع شريعته الأخيرة، ويرســل رسـوله الأخير، ويجعل رسوله خاتم النبيين ، ويجعل رسالته خاتمة الرسالات ويجعل شريعـتـه شـريـعـة الأبد ، كأنه سبحانه يجهل أن أحوالاً سـتطرأ، وأن حاجات ستجد وأن ملابسات ستقع، فـلـم يحـسـب حسابها في شريعته لأنها كانت خافية عليه ، حتى انكشفت للناس في آخر الزمان!!! ما الذي يستطيع أن يقوله... وبخاصة إذا كان يدعي الإسلام؟
إنه مفرق الطريق ، الذي لا معدي عنه من الاختيار..
إما إسلام ، وإما جاهلية... إما حكم الله ، وإما حكم الجاهلية..
وهذه العلمانية التي وصفنا حالها ، ورأينا واقعها ليست يقيناً حكم الله القائم على الكتاب والسنة... فماذا تكون إلا حكم الجاهلية؟ قال تعالى:
((أَفَحُكْمَ الجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ومَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ))

فجعل الله الحكم حـكـمـيـن لا ثـالـث لهما : حكم الله... وهو الحكم القائم على الكتاب والسنة،.. وحكم الجاهلية.. وهو ما خالف ذلك (11)
إذن فالعلمانية هي...حكم الجاهلية .
* يتبع *

المصادر :

1- وهل الدنيا والآخرة طريقان منفصلان؟ وهل هذه لإله وتلك لإله؟ وهل الإله الذي يحكم الدنيا غير الإله الذي يحاسب الناس يوم القيامة ؟
2- العلمانية - سفر بن عبد الرحمن الحوالي ص 21-24.
3- حول تطبيق الشريعة محمد قطب ص 112
4- العلمانية - سفر بن عبد الرحمن الحوالي ص 648-649
5- حول تطبيق الشريعة محمد قطب ص 107
6/7- راجع كتاب مدخل دستوري للدكتور سيد صبري
8- العبودية - ابن تيمية ص 6
9- صحيفة الأهرام - عدد الخميس 29 جمادي الأول 1402
10- مأخوذ من كتاب - أحكام إسلامية إدانة للقوانين الوضعية - محمود غراب
11- في ظلال القرآن - سيد قطب 2/905

شذرات وقطوف

إعداد: أبو خالد التميمي

•0 ضرورة التربية على معاني الإسلام :

".. إن حفظ معاني الإسلام فقط دون أن تـمــس هــذه المعاني القلب ، ودون أن يصبغ بها السلوك ، لا يفيد في التقويم ولا في صلاح المسلم ، إن مــن يحفــظ مناهج الرياضة في تقوية الجسد، ويذكرها إذا سئل عنها ، أو يرددها بنفسه دون أن يطبـقـهـا فـعـلاً على نفـسه لا يكتسب صحة جيدة ولا جسماً قوياً ، وكذا من يعرف الإسلام ويحفظ معانيه دون أن يربي نفسه عليه" .

عبد الكريم زيدان - أصول الدعوة -

•0 الأمم لا تعيش بالماضي فقط !

".. والأمم لا تعيش بالتاريخ ولا بما مثلته من دور في الزمن الماضي ، وما حققته من نجاح وانتصار في عهد سابق ، إنما تعيش الأمم بالجهــاد المتواصل ، والنشاط الدائم ، والشعور بالمسئولية المستمر ، والمخاطرة بالنفس والنفيس في كل زمان ، والجدة والابتكار ، وإنتاج المفيد الجديد والصالح المزيد ."

أبو الحسن الندوي

0• نحن والأعداء:

".. وليقل الأعداء ما يقولون ، وليطلقوا على المؤمنين من الألقاب ما شـاؤوا ، ولـيـصـفـونا بالـمتطرفين أو الأصوليين أو غير ذلك ، فو الله لم نعبأ بهم ، ولم نكترث لما يقولون . فلقد عرفنا طريقنا من كتاب ربنا وسنة نبينا -عليه الصلاة والسلام- . ولم ننتظر من أعداء الله أن يقوّمونا، إن الذي يحزننا هو أن يمدحونا ويثنوا عـلـينا ، لأن هذا يدل على أن فينا ما يعجبهم وهـم أعــداء الله لا يرضـيـهـم إلا مـا يـسـخطه . أما أن يرمونا ويصمونا بالألقاب المختلفة ، فهذا هو الذي يسرنا ، وهذا هو المنتظر منهم ".

سلمان بن فهد العودة - جزيرة الإسلام -

أقوال :

قال رجل لأبي هريرة -رضي الله عنه- : أريد أن أتعلم العلم وأخاف أن أضيعه فقال له أبو هريرة : كفى بترك العلم إضاعة .

قال بكر بن عبد الله :

"إذا رأيت من هو أكبر منك ، فقل : سبقني بالإسلام والعـمل الصالح فهو خير مني. واذا رأيت من هو أصغر منك ، فقل : سبقته بالذنوب والمعاصي، فـهـو خير مني . واذا رأيت إخوانك يكرمونك فقل نعمة أحدثوها ، واذا رأيت منهم تقصيراً فـقـل : بذنب أحدثته .

قيل لابن سيرين : ما أشد الورع ! فقال ما أيسره! إذا شككت في شيء فدعه .

كان أحمد بن حنبل -رضي الله عنه- يمشي في الوحل ويستوقي فـغـاصت رجله ، فقال لأصحابه : هكذا العبد لا يزال يتوقى الذنوب فإذا واقعها خاضها .

ضوابط في تلقي النصوص الشرعية وفهمها

عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف

لا شك أن لنصوص الوحيين (الكتاب والـسـنـة) المنزلة العظيمة اللائقة بهما ، كما أن لفهم تلك النصوص الأسلوب الملائم لحصول الـمقصود منها ، وسأورد لك أخي القارئ بعضاً من الضوابط التي يتعين تذكيرها إزاء النصوص الشرعية عند تلقيها وفهمها .

1- التسليم والتعظيم :

لا بد من التسليم التام والخضوع الكامل للنصوص الشرعية ، كما أنه يتعين التحاكم إليها وتقديمها على غيرها ، كما يجب تعظيم نصوص الوحيين وإجلالها وتوقيرها .
إن التسليم يعني خضوع القلب وانقياده لربه المتضمن لأعمال الجوارح، كما أن التسليم "هو الخلاص من شبهة تعارض الخبر ، أو شهوة تعارض الأمر ، أو إرادة تعارض الإخلاص ، أو اعتراض يعارض القدر والشرع، وصاحب هذا التوجه هو صاحب القلب السليم الذي لا ينجو يوم القيامة إلا من أتى الله به ، فإن التسليم ضد المنازعة". (1)
إن صفة التسليم للنصوص الشرعية من أهم صفات أهل الإيمان ، فلا أحد أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله تعالى ، كما أنه ممن نال التمسك بالعروة الوثقى .
((وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِّمَّنْ أَسْلَمَ وجْهَهُ لِلَّهِ وهُوَ مُحْسِنٌ)) [النساء 125] ، وقال تعالى :
((ومَن يُسْلِمْ وجْهَهُ إلَى اللَّهِ وهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الوُثْقَى)) [لقمان 22]
وكما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - أثناء حديثه عن السلف الصالح - "وكان من أعظم ما أنعم الله به عليهم اعتصامهم بالكتاب والسنة، فكان من الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان أنه لا يقبل من أحد قط أن يعارض القرآن، لا بـرأيــه ، ولا ذوقه، ولا معقولة، ولا قياسه، ولا وجده . فإنهم ثبت عنهم بالبراهين القطعيات والآيات البينات أن الرسول جاء بالهدى ودين الحق ، وأن القرآن يهدي للتي هي أقوم"(2) .
ويوضح -رحمه الله- أهمية هذا الأمر فيقول: "جماع الفرقان بين الحق والباطل ، والهدى والضلال والرشاد والغي ، وطريق السعادة والنجــاة ، وطريق الشقاوة والهلاك ؛ أن يجعل ما بعث الله به رسله وأنزل به كتبه هو الحق الــذي يجـب اتـباعه ، وبه يحصل الفرقان والهدى والعلم والإيمان ، فيصدق بأنه حق وصدق ، وما سواه من كلام سائر الناس يعرض عليه ، فإن وافقه فهو حق ، وإن خالفه فهو باطل"(3).
واعلم - أخي القارئ - أن مبنى العبودية والإيمان بالله وكتبه ورسله على التسليم، وعدم الأسئلـــة عن تفاصيل الحكمة في الأوامر والنواهي والشرائع ، ولهذا لم يحك الله سبحانه عن أمـة نبي صدقت نبيها ، وآمنت بما جاء به أنها سألته عن تفاصيل الحكمة فما أمرها به ، أو نهـاهـا عنه ، أو بلّغها عن ربها ، بل انقادت ، وسلمت ، وأذعنت . وما عرفت من الحكمة عرفـتـه ، ومــا خفـي عـنـهـا لم تتوقف في انقيادها وإيمانها واستسلامها على معرفته ، وقد كانت هذه الأمة التي هي أكمل الأمم عقولاً ومعارفاً وعلوماً لا تسأل نبيها لمَ أمــر

الله بذلـك؟ ولمَ نهى عن ذلك؟ ولَم فـعـل ذلـك؟ لعلـمـهـم أن ذلـك مـضـاد لـلإيـمـان والاستسلام". (4)
ولقد كان نبينا وحبيبنا محـمـد -صلى الله عليه وسلم- يربي أصحابه -رضي الله عنهم- على التسليم لله تعالى وآياته وإجلال النصوص الشرعية وتعظيمها ، ولقد خرج -صلى الله عليه وسلم- على أصحابه وهم يقولون : ألم يقل الله كذا وكذا ، يرد بعضهم على بعض ، فكأنما فقىء في وجهه حب الرمان من الغضب، ثم قال : "ما لكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض ؟ بهذا هلك من كان قبلكم" . رواه أحمد والترمذي .
وقد ضرب الصحابة -رضي الله عنهم- أروع الأمـثـلــة فـي الـتـسـلـيم والإجلال للنصوص الشرعية ، فهذه امرأة تقدم على أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- وتسألها ، فتقول: "ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة؟ فقالت عائشة : أحرورية أنت ؟ فقالت المرأة : لست حرورية ، ولكني أسأل . قالت : كان يصيبنا ذلك فنؤمر بقـضــاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة". رواه مسلم .
ويحــدث عـمــران بن حصين -رضي الله عنه- فيقول : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:"الحياء كله خير. فيقول أحدهم : إنا لنجد في بعض الكتب أن منه سكينة ووقاراً لله ، ومنه ضعف . قال فغضب عمران حتى احمرت عيناه ، وقال : ألا أراني أحدثك عن رســول الله -صلى الله عليه وسلم- وتعــارض فيه . قال فأعاد عمران الحديث، وأعــاد الرجل مقالته ، فغضب عمران ، حتى قال الحاضرون له : إنه منا يا أبا نجيد ، إنه لا بأس به" . أي ليس ممن يتهم بنفاق أو زندقة . رواه مسلم.
وقد التزم سلف هذه الأمة هذا المنهج ، واعتنوا أيما عناية بتحقيقه ، فها هو الأوزاعي -رحمه الله- يقول : "من الله تعالى التنزيل، وعـلـى رسـولـه التبليغ ، وعلينا التسليم"(5)
وقال رجل للزهري : يا أبا بكر حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- " ليس منا من لطم الخدود وليس منا من لم يوقر كبيرنا" وما أشبه هذا الحديث ؟ فأطرق الزهري ساعة ثم رفع رأسه فقال:من الله -عز وجل- العلم ، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التسليم".(6)
ولما ذكر ابن المبارك حـديــث " لا يزني الزاني وهو مؤمن.." ، فقال فيه قائل : ما هذا ؟ على معنى الإنكار. فغضب ابن مبارك وقال : يمنعنا هؤلاء الأنان (كثير الكلام والشكوى) أن نحدث بحديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، كلما جهلنا معنى حديث تركناه! لا بل نرويه كما سمعنا ، ونلزم الجهل أنفسنا.(7)
وكان أبو معاوية الضرير يحـدث هارون الرشيد بحديث أبي هريرة : "احتج آدم وموسى" فقال أحد الحاضرين: كيف هذا وبين آدم وموسى ما بينهما؟ قال :

فوثب هارون ، وقال: يحدثك عـن الرســول -صلى الله عليه وسلم- وتعــارض بكـيف ؟! فـمـا زال يقـول حتى سكت عنه .
يقول شـيخ الإسلام أبو إسماعيل الصابوني -رحمه الله- معلقاً على هذه القصة : "هـكــذا ينبغي لـلـمـرء أن يعظم أخبار رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ويقابلها بالقبول والتسليم والتصديق، ويـنـكــر أشــد الإنكار على من يسلك فيها غير هذا الطريق الذي سلكه هارون الرشيد - رحمه الله - مــع من اعترض على الخبر الصحيح الذي سمعه بـ " كيف" على طريق الإنكار له والابتعاد عـنه ، ولم يتلقه بالقبول كما يجب أن يتلقى جميع ما يرد عن الرسول -صلى الله عليه وسلم-" .(8)
إن الناظر إلى واقع المسلمين الآن ، يرى ما يدمي القلب ، ويورث الحزن ، وذلك بسبب ما قد يقع فيه الكثير من المسلمين تجاه النصوص الشرعية ، من جفاء للنص ، وهجران للسنة ، بل ومعارضة النص الشرعي المـعصوم بمعقول أو ذوق أو قياس أو سياسة... ألا فليتق الله أولئك القوم ، فإنه والله يخشى على هؤلاء أن يكون لهم نصيب من هذا الوعيد الشديد في الآية الكريمة :
((فَلْيَحْذَرِ الَذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْــرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)) [النور 63]
يقول الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله-: " عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته ويذهبون إلى رأي سفيان - أي الثوري - والله تعالى يقول :
((فَـلْـيَـحْـذَرِ الَـذِيـنَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ)) أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك، لعله إذا ردّ بعض قوله ، أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك .

2- الإيمان بجميع ما جاء عن الله تعالى وما صح عن رسوله -صلى الله عليه وسلم- :

من سمات أهل الـسـنــة الإيـمــان بجميع ما جاء في الكتاب والسنة ، فلا يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض كحال أهل الكتاب ، ومن شابههم من أهل الأهواء ، فأهل الحق يؤمنون بالله وبما جاء عن الله على مراد الله كما يؤمنون بالرسول -صلى الله عليه وسلم- على مراد الرسول -صلى الله عليه وسلم- .
يقول تعالى :
((يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً)) [البقرة 208]
أي فإن الله تعالى يأمر عباده والمؤمنين به أن يأخذوا بجميع شرائع الإسلام جملة وتفصيلاً ، وقال سبحانه :
((والرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا)) [آل عمران:7]

إن إيمان أهل السنة بجميع النصوص الثابتة في مسألة ما قد أورثهم الخيرية الوسطية بين الفرق ، كما كانت هذه الوسطية سبباً في هداية الله لهم فيما اختلف فيه من الحق بإذنه ، فإيمانهم - مثلاً - بنصوص الإثبات مع التنزيه في باب صفات الله تعالى جعلهم وسطاً عدلاً بين المعطلة والمشبهة ، كما أن إيمانهم بنصوص الوعد والوعيد جعلهم وسطاً بين الوعيدية والمرجئة ، وإيمانهم بالنصوص التي تضمنت إثبات قدرة الله وخلقه ومشيئته مع النصوص التي تثبت للعبد فعلاً ومشيئة.. أورثهم المسلك الوسط الخيَّر بين القدرية النفاة والجبرية ، وكذا إيمانهم بجميع النصوص الصحيحة في فضائل الصحابة جعلهم وسطاً بين الروافض والخوارج .
وقد حرص سلف الأمة على تطبيق هذا الأصل ، فكانوا أهل الوسطية والاعتدال ، ومثال ذلك أن الزهري - رحمه الله - حدّث بحديث الرجل المسرف على نفسه ، والذي أوصى بنيه بأن يحرقوه بالنار - جهلاً منه بقدرة الله - فبعثه الله وسأله عن سبب صنيعه فقال هذا الرجل: خشيتك يا رب، فغفر له بذلك . ثم حدّث الزهري بحديث المرأة التي دخلت النار في هرة ، لا هي أطعمتها ولا أرسلتها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت هزلاً . رواه مسلم .
ثم قال الزهري : لئلا يتكل رجل ولا ييأس رجل .
قال النووي : "معناه لما ذكر الحديث الأول خاف أن سامعه يتكل على ما فيه من سعة الرحمة وعظم الرجاء ، فضم إليه حديث الهرة الذي فيه من التخويف ضد ذلك ليجتمع الخوف والرجاء ، وهذا معنى قوله "لئلا يتكل ولا ييأس" وهكذا معظم آيات القرآن العزيز يجتمع فيها الخوف والرجاء لئلا يقنط أحد ولا يتكل."(9)
وجاء رجل إلى الحسن البصري -رحمه الله- يسأله عن فضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - وكان ذلك في أيام فتن - فذكر الحسن حديث أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال : " لا يمنعن أحدكم رهبة الناس أن يقول بحق إذا رآه ، أو شهده ، فإنه لا يقرب من أجل، ولا يباعد من رزق أن يقال بحق".(10)
ثم أتبعه الحسن بحديث آخر فقال : قال النبي -صلى الله عليه وسلم- : " ليس لمؤمن أن يذل نفسه ، قيل : يا رسول الله ، وما إذلاله لنفسه ؟ قال : يتعرض من البلاء ما لا يطيق".(11)
واعلم - يا أخي - أن الإيمان بجميع النصوص يقتضي تحقيق البلاغ المبين لها ، فدين الله تعالى لجميع المكلفين ، يقول الشاطبي : "الشريعة بحسب المكلفين كلية عامة ، بمعنى أنه لا يختص بالخطاب بحكم من أحكامها الطلبية بعض دون بعض ، ولا يحاشى من الدخول تحت أحكامها مكلف البتة . كما في النصوص المتضافرة كقوله تعالى :

((وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرَاً))
وقوله :
((قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إنِّي رَسُولُ اللَّهِ إلَيْكُمْ جَمِيعاً))
وقوله عليه الصلاة والسلام : "بعثت إلى الأحمر والأسود..." (12)
ولكن لا يعني هذا الإخبار بكل نـص ولـكـل مكلف بإطلاق... بل لا بد من التنبيه إلى أمر مهم يبينه الضابط التالي :

3- مراعاة أحوال المخاطبين :

فمن المعلوم أن لكل مقام مقالاً ، وربما صح مقصد المكلف ، وحسنت نيته ، لكن قصر فهمه عن إدراك المقصود من النص ، فساء إدراكـــه والـتبس عليه الأمر ، ولقد كان الصحابة -رضي الله عنهم- ممن جمعوا بين حسن القصد مع حـســن الفهم ، وقد يحرم البعض أحد الأمرين أو كلاهما.
يقول شيخ الإسلام : "إن المسائل الخبرية العلمية قد تكون واجبة الاعتقاد ، وقد تجب في حال دون حال، وعلى قوم دون قوم، وقد تكون مستحبة غير واجبة، وقد تستحب لطائفة أو في حال كالأعمال سواء..
وقد تكون معرفـتها مضرة لبعض الناس فلا يجوز تعريفه بها ، كما قال ابن عباس لما سأله أحدهم عن قولــه تعالى : ((اللَّهُ الَذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ...)) الآية. فقال : ما يؤمنك أني لو أخبرتك بتفسيرها لكفرت ، وكفرك تكذيبك بها". (13)
ويوضح الشاطبي هذا الأمر فيقول :
"ومن هذا يعلم أنــه لـيـس كل ما يعلم مما هو حق يطلب نشره ، وإن كان من علم الشريعة ومما يفيد علماً بالأحكام، بـل ذلـك ينقـسـم ، فمنه ما هو مطلوب النشر ، وهو غالب علم الشريعة ، ومنه ما لا يطلب نشره بإطلاق ، أو لا يطلب نشره بالنسبة إلى حال أو وقت أو شخص".(14)
ثم يقول : "وضابطه أنك تعرض مـســألتك على الشريعة ، فإن صحت في ميزانها فانظر في مآلها بالنسبة إلى حال الزمان وأهله ، فإن لم يؤد ذكرها إلى مفسدة فاعرضها في ذهنك على العقول (*) فإن قبلتها فلك أن تتكلم فيها إما على العموم إن كانت مما تقبلها العقول على العموم وإما على الخصوص إن كانت غـيـر لائقة بالعموم ، وإن لم يكن لمسألتك هذا المساغ فالسكوت عنها هو الجاري على وفق المصلحة الشرعية والعقلية".(15)
وقد طبق الصحابة -رضي الله عنهم- هــذا الضابط ، فكانوا في دعوتهم وتبليغهم مراعين لأفهام الناس وأحوالهم ، فها هو عبادة بــن الصامت -رضي الله عنه - وهو يعالج مرض الموت - يقول : ما من حديث سمعته من رســول الله -صلى الله عليه وسلم- لكم فيه من الخير إلا حدثتكموه إلا حديثاً واحداً، وسوف أحدثكموه اليوم وقد أحيط بنفسي ، سمعت رسول الله -صلى الله

عليه وسلم- يقــول : "من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله حرَّم الله عليه النار" رواه مسلم.
يقول القاضي عياض في شرح هذا الحديث : "فيه دليل على أنه كتم ما خشي الضرر فيه والفتنة مما لا يحتمله عقل كل واحد، وذلك فيما ليس تحته عمل ولا فيه حد من حدود الـشـريـعــة ، ومثل هذا عن الصحابة -رضي الله عنهم- كثير في ترك الحديث بما ليس تحته عمل ، ولا تدعو إليه ضرورة ، أو لا تحمله عقول العامة ، أو خشيت مضرته على قائله أو سامعه لا سيما ما يتعلق بأخبار المنافقين والإمارة وتعيين قوم وصفوا بأوصاف غير مستحسنة وذم آخرين ولعنهم ، والله أعلم". (16)
وجاء في حديث معاذ قوله -صلى الله عليه وسلم- "ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عـبـده ورسـولــه إلا حــرم عليه النار . فقال معاذ: يا رسول الله أفلا أخبر الناس فيستبشروا ؟ قال : إذاً يتكلوا" فأخبر بها معاذ عند موته تأثماً .
قال ابن الصلاح : "منعه من التبشير العام خوفاً من أن يسمع ذلك من لا خبرة له ولا علم فيغتر ويتكل ، وأخبر به -صلى الله عليه وسلم- على الخـصــوص مـن أمن عليه الاغترار والاتكال من أهل المعرفة ، فإنه أخبر به معاذاً ، فسلك معاذ هذا المسلك فـأخـبـر بـه مــن الخاصة من رآه أهلاً لذلك". (17)
وقال ابن رجب في شرحه لأوائل صحيح البخاري : " قال العلماء يؤخذ من منع معاذ من تبشير الناس لئلا يتكلوا أن أحاديث الرخص لا تشاع في عموم الناس لئلا يقصر فهمهم عن الـمــراد بها ، وقد سمعها معاذ فلم يزدد إلا اجتهاداً في العمل وخشية الله -عز وجل- ، فأما من لم يبلغ منزلته فلا يؤمن أن يقصر اتكالاً على ظاهر هذا الخبر". (18)
ولما أخبـر أبـو هـريــرة عـمـر - رضي الله عنهما - بحديث : "من شهد أن لا إله إلا الله مستيقناً به قلبه دخل الجنة ، فقام عمر وضرب بيده بين ثديي أبى هريرة حتى أسقطه ، وقال ارجع يا أبا هريرة، فـرجـع أبو هريرة إلى رسول الله ، وأخبره بما فعل عمر ، فقال الرسول -صلى الله عليه وسلم-: مـا حملـك على مــا فـعـلـت؟ قال عمر: فلا تفعل فإني أخشى أن يتكل الناس عليها ، فخلهم يعملون . قال الرسول -صلى الله عليه وسلم-: خلهم". رواه مسلم.
قال النووي : "وفيه جواز إمساك بعض العلوم التي لا حــاجــة إلـيها للمصلحة أو خوف المفسدة". (19)
وقد عقد الإمام البخاري باباً فقال : "باب من خص بالعلم قوماً دون قــوم كـراهـيـة أن لا يفهموا، وأورد قول علي -رضي الله عنه- : حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله ؟

وللحافظ ابن حجر كلام نفيس في هذا المقام حيث يقول : " وفيه دليل على أن المتشابه لا ينبغي أن يذكر عند العامة، ومثله قول ابن مسعود "ما أنت محدثاً قوماً حديثاً لا تـبـلـغـه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة" رواه مسلم.
وعن الحسن البصري أنه أنكر تحديث أنس بن مالك للحجاج بن يوسف بقصة العُرَنيِّن ، لأنه اتخذها وسيلة إلى ما كان يعتمــده من المبالغة في سفك الدماء بتأويله الواهي ، وضابط ذلك أن يكون ظاهر الحديث يقوي البدعة وظاهره في الأصل غير مراد، فالإمساك عنه عند من يخش عليه الأخذ بظاهره مطلوب (**)"(20)
وســاق مـسـلم بسنده إلى منصور بن عـبد الرحمن الأشل البصري عن الشعبي عن جرير أنه سمعــه يقــول : أيما عبد أبق من مواليه فقد كفر حتى يرجع إليهم. قال منصور: قد والله روي عن النبي -صلى الله عليه وسلم- ولكني أكره أن يروى عني ههنا بالبصرة. (21)
والسبب فـي ذلك كما ذكر النووي - أن البـصـرة كانت مملوءة من المعتزلة والخوارج الذين يقولون بتخلـيد العصاه في النار، ويسلبون عنهم جمـيـع الإيمان ، فخشي منصور أن يتأول هؤلاء المبتدعة هذا الحديث على حسب أهوائهم .
نسأل الله تعالى لجميع المسلمين الفقه في الدين وبالله التوفيق .

الهوامش:

(*) لا يصح أن يـقــال : إن بعـض مسائل الشرع مما لا تقبله العقول لأن العقل والنقل من الله تعالى ويستحيل اختلافهما وإن حصل فلعل هناك أسباباً تعود لعدم فهم النصوص على الوجه المطلوب . ولشيخ الإسلام كتاب هام في ببان موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول وهو المعروف بـ (درء تعارض النقل والعقل).

- البيان -

(**) وبالطـبـع لـيـس مــن هذا الباب ما تزعمه بعض الفرق المبتدعة من أن الرسول حبس بعض العلوم عن النـاس وقصرها على بعض ، فهذا ادعاء باطل واتهام للرسول -صلى الله عليه وسلم- بالخـيـانــة - حاشــاه - وإنما قصدهم إضاعة ما يدعونه من دعاوى باطلة ، وتعضيدها بالنصوص المزعومة ، وحسبك بيان العلماء لهذا الباب.

المصادر :

1- مدراج السالكين 2/147
2- الفتاوى 13/28
3- الفتاوى 3 1 / 35 1 ، 36 1
4- الصواعق المرسلة 4/1560 ، 1561 باختصار
5- التمهيد 6/14

6- السنة للخلال 3/579
7- تعظيم قدر الصلاة 1/504،505
8- عقيدة السلف ص 117
9- شرح النووي على مسلم 17/372
10- واخرجه احمد وإسناده صحيح
11- وأخرجه أحمد والترمذي وهو صحيح . انظر صحيح الجامع الصغير 6/253
12 - الموافقات 2/2ب4
13- الفتاوى 6/ 59
14 - الموافقات 4 / 189
15 - الموافقات 4/ 191
16-شرح النووى على مسلم 1/229
17- شرح النووي على مسلم 1/241
18- الفتح 11/340
19- شرح النووي على مسلم 1/240
20- الفتح 1/225
21- شرح النووي على مسلم 2/57

بين التقصير والتآمر

د. نعمان عبد الرزاق السامرائي

المتأمل في أحوال الأمة الإسلامية يجدها تعاني معاناة شديدة كما يجد التفسيرات متباينة لذلك . بعض المفكرين يركز على قصور الأفراد والمجتمعات ، بينما يركز آخرون على "تآمر" الأعداء .

والذي لا يجادل فيه أحد أن التاريخ يتحرك ولكن إلى أين ؟ هناك من يعتقد بأن الحركة مندفعة للأمام ، وقد قال بهذا بعض مفكري اليونان ، ثم جاء "هيغل" ليقول بأن كل فترة في الحضارة تكون أفضل من سابقتها، ومعنى ذلك أن الحضارة في تقدم مستمر، وقد تلقفت الماركسية الفكرة فطبقتها في الصراع الطبقي ، ونادت بمثل ما نادى به هيغل ، والذي نعلمه ونعرفه عن الحضارة أنها مجموعة أشياء مادية مثل المباني والطرق وأخرى معنوية كالآداب والفنون والأنظمة والأفكار والعقائد ، وهذا الخليط المجتمع يمكن أن يتقدم بعضه ويتوقف آخر ويتأخر قسم ثالث ، فالحضارة ليست كائناً "عضوياً" إما أن يتقدم أو يتأخر فإن كان هذا يصدق على الجسم الواحد فلا يصدق على الحضارة .

على أن هناك من يرى بأن حركة التاريخ تتم حسب دورات وأشهر ومن نادى بذلك ابن خلدون وفيكو واشبنجلر وتوينبي - على اختلاف بينهم في طبيعة الدورة - بل هناك من يقول بالنكوص والتقهقر.

المهم أن التاريخ يتحرك وفيه تتلاقى قوى وإرادات عدة ، كما يساهم في تلك الحركة نشطون وكسالى ، ،يتدافعون ويتصارعون ، يقول تعالى :
((ولَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ ولَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى العَالَمِينَ)) [البقرة:251]
ويقول :
((وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً)) [الحج:40]
ففي هذا التدافع والصراع تجديد وتنشيط ، يشبه إلى حد جريان الماء الذي ما أن يقف حتى يفسد.. فالتدافع بين البشر واقع مشهود ، وحقيقته محسوسة . ونعود للسؤال : هل ما نعانيه سببه تقصير أم تآمر ؟؟ لقد ألفا الكثير من المفكرين والمفسرين للتاريخ يعتمدون التفسير "التآمري" فهناك اليهود والصليبية - والشيوعية حتى الأمس -، وهؤلاء يحشرون الكثير من الحجج ، فكل قضية يكون فيها المسلمون طرفاً تجد التحيز وذوبان الموضوعية ، فإذا ابتعدت هذه القضية عن هذه الدائرة وجدنا الموضوعية والتزام الحياد .
وفي كل يوم نسمع هذا المسلم قتل هنا أو عذب هناك أو قام الجيش الفلاني بحصده ، والعالم يلتزم الصمت فإن كان المعتدي عليه يهودياً فإن الدنيا كلها تبكي وتصرخ وتحتج.
ويتسائل البعض : ترى لو أن روسيا مثلاً قتلت كل يوم يهودياً أو أكثر كما تعمل إسرائيل بالشعب الفلسطيني فماذا سيحدث ؟
لا شك أن حرباً عالمية ثالثة ستقوم ، وسيقتل الملايين وتهدم مدن وتباد جيوش .
الغرب يبكي ويلطم الخدود على بضعة "مختطفين" في لبنان ، ولكن لا أحد يبكي على الفلسطيني الذي يموت تحت التعذيب الإسرائيلي ، ولم نسمع أحداً بكى أو تباكى على الشباب الفلسطيني الذي دفن حياً على يد الصهاينة ، تغير إسرائيل على لبنان وتستعمل كافة الأسلحة ولا من يحتج ، تضرب في تونس وتقتل ولا من يحتج ، تفاوض إسرائيل الهند للتعاون في ضرب المنشآت الباكستانية النووية ولا من يحتج . أليس هذا تآمراً مكشوفاً ؟
يقول المؤرخ البريطاني توينبي : إن الغرب اضطهد اليهود وأساء إليهم ، وكان المفروض أن يعوضهم ، لكن الذي حصل أن الثمن دفعه أهل فلسطين فنزل بهم على أيدي الصهاينة بمساندة من الغرب أكثر مما نزل باليهود . ومع ذلك قام الغرب والشرق مسارعاً للاعتراف بإسرائيل ودعمها بالمال والرجال والعتاد لتعتدي كل يوم على جيرانها . دول كبرى احتجت بشدة لدى الصين لأنها تنوي بيع صواريخ لسوريا والباكستان وهذه الدول نفسها تسلم في نفس الوقت طائرات حربية لإسرائيل وتقدم لها

ألوف الملايين حتى تعتدي يومياً وتطرد أهل البلاد لتُحل مكانهم مهاجرين من الحبشة أو روسيا .
هل هناك دولة في العالم تطرد المواطن لتحل مكانه مهاجراً ؟ ولعل مما يدخل في سلسلة التآمر ما يصرح به أمثال "كيسينجر" علناً بأن من الواجب (تفتيت المقدرة الإسلامية قبل أن يقدر لها الاكتمال) .
وقد قدر الدكتور حامد ربيع أن الرب سيعمل لإجهاض الصحوة الإسلامية عن طريق "التلويث والتطويع والإذابة". أما حملة التلويث فقائمة على قدم وساق ، تساهم فيها الصحافة العربية بعلم أو بدونه ، نيابة عن الآخرين ، وأما التطويع فتلك مهمة الحكومات المحلية ، فهي تشد يوماً وترخي آخر ، حتى قال وزير داخلية في قطر عربي كبير: إن أحكام الطوارئ تطبق على "الإسلاميين فقط " وحقوق الإنسان تشمل كل البشر سوى المسلم فهو حلال الدم. أما الإذابة فقد تكفل بها أشخاص من بينهم مدراء جامعات في جيوبهم "شيكات" توزع هنا وهناك والهدف ضرب الصحوة الإسلامية وإذابتها ، ومن يريد الاستزادة فدونه كتاب "موقف إسرائيل من الحركة الإسلامية" لزياد علي .
أما التقصير فهو أظهر من أن يخفى . فهذه اليابان والمانيا خرجتا من الحرب العالمية مهزومتين ، وقد دمرت مدنهما وخلعت حتى قضبان سكة الحديد ، ونهبت المصانع وخلال سنوات سبقت حتى الدول التي انتصرت عليها وقد لحقت بها أخيراً كوريا الجنوبية .
أما نحن فقد صرنا - بحمد الله - من مستهلكي الحضارة ، كما تحولت بلادنا إلى معارض بضائع الآخرين ومنتجاتهم وأفكارهم وأمراضهم البدنية والحضارية .
إن التقصير من الصعب إنكاره ، وهذه جامعاتنا ومعاهدنا الثقافية ما زالت "عالة" على الآخرين ، ومع كثرة ما ينفق عليها فهي لم " تد " سوى جيش من الموظفين الذين ينتظرون الترقيات والعلاوات ، ولا تسل عن الإيفادات وهذه طامة كبرى .
أما الموظفون فكما قال الشاعر "يعدد أياماً ويقبض راتباً " أما الإنتاج فيخل الإنسان أن يذكره . الكل يريد ويطالب بالحقوق و"الحوافز" ولا أحد يذكر الواجبات .
إن ما يحدث لنا هو مزيج كريه من تقصير وتآمر ولكن جرت العادة أن يذكر أحد العاملين ويغفل الآخر هذه مدرسة في تفسير التاريخ تكتفي بعامل واحد ولا تبحث عن سواه . وإذا كنا نعجز عن إقناع الأعداء في وقف تآمرهم فهل نعجز عن تلافي التقصير ؟
يقول الشاعر:

ولم أر في عيوب الناس عيباً كنقص القادرين على التمام

البيان الأدبي

حـول التجديد
في الأدب ومفهوم الحداثة

د.عبد الله الخلف

التطور والتغيير في الأدب سمة لازمة له لا تنفك عنه . فالأدب من ناحية مرتبط بالحياة ، والحياة لا بد أن تتغير بشكل أو بآخر . ومن ناحية أخرى هناك تطلع دائم من :قبل كثير من متلقي الأدب ومبدعيه إلى التغيير والتـجديـد، وإلى اعتبار المجدد ذا شخصية إبداعية متميزة ، وليس نسخة مكررة عمن سبقه . ومنذ العصر الجاهلي أحس الشاعر بوطأة التقليد وثقله ، فهذا عنترة يبدأ معلقته بالشكوى بأن مـن سبـقـه مـن الشعـراء لـم يتركوا له مجالاً واسعاً في بكاء الأطلال : "هل غادر الشعراء من مُتَرَدَّمِ ؟".

لذلك حاول العديد من الشعراء ولا سيما في العصر العباسي أن يجددوا في فنهـم ، فظهر ما سمـي آنـذاك بمـذهب المحـدثـين ، وتـطـور هـذا الأمـر حتـى وصل إلى غـايـتـه ، ثم بدأ بالانحـدار وتـحـول إلى صنـاعـة لفظية ركيكة . ومع ذلك فقد كانت محاولة التجديد همّاً دائماً يحمله الشعراء حتى في عـصور الـضعـف ، فكانوا يتسابقون إلى اختراع أنواع جديدة من الصناعة اللفظية على الرغم من ركاكة ما كانـوا يـأتـون وفي الأنـدلـس ظهر التجديد في أوزان الشعر وقوافيه حيث ظهرت الموشحات التي سرعان ما انتقلت إلى الشرق .

أمـا فـي أوائـل الـعصـر الحديـث فـقد كانت بداية التجديد بالدعوة إلى العودة إلى أساليب الشعراء في عصور الازدهار، وأخذ هـذا التيار بالنمو حتى وصل إلى ذروته على يدي أحمد شوقي الذي قال فيه بعض النقاد إنه وصـل بـالـشعـر المحـافظ إلى ذروته ، ووضع الشعراء أمام طريق مسدود ، فلم يكن أمامهم من سبيل إلا أن يقنعوا بمـكانـة دون مكانـته ، أو أن ينهجوا منهجاً مختلفاً ، وكما قال أحدهم فيه وفي أمثاله : "لقد أوصلوا الطريقـة القـديمـة إلى نقـطـة لا يمـكن تجاوزها إلا بالتخلي عنها". وهذا ما حدث فعلاً حيث ظهرت مذاهب أدبية جديدة، وجـرت عـجـلـة التـجديـد بسرعـة كبيرة تجاوزت كل ما حدث في العصور السابقة.

وإذا وضعنا ما حدث في هذا العصر في سياقه التاريخـي ، فسـوف نـدرك أنه لا غرابة فيه ، فـالـتـجديـد سمـة لازمـة لـلأدب كما ذكرنا ، أما ما نراه من سرعة هذا التغيير ، وتعدد المذاهب فإنه انعكاس لما نعيشه من تغير مستمر ومتسارع ومتشعب في أساليب الحياة المادية ، ومن تطور العلوم والمختـرعات ووسـائـل الاتـصال والإعـلان والنشر ، وانفتاح أمم العالم على

بعضها ، ولما يشهده هذا العصر من اضطراب فكري وعـقـدي ، فـمن المحال والحالة هذه ألا يستجيب الأدب لهذا التغيير، أو أن تكون حركة التجديد بطيئة متأنية.
وقـد أطـلق عـلـى مـوجة من أواخر موجات التجديد ، والتي شهد الأدب من خلالها نقلة واسعة اسم الحداثة ، وهـذا المـصطلـح وإن كـان مـترجماً من مصطلح غربي فإنه قريب من التسمية التي أطلقها النقاد العباسيون على أصحاب المذهب الجديد إذ سموهم المحدثين . غير أن هناك فئة من العلمانيين ، وأصحاب الاتجاهـات المنحرفة برعوا في ركوب موجات التغيير واستغلالها . وكما تلقفوا لفظ التقدمية وتسموا به واحتكروه قفزوا على لفظ الحداثة واستغلوه وألبسوه لباسهم الفكري ، وحاولوا أن يجتازوا بـه سـاحـة الأدب إلى ساحة الفكر والعقيدة ، على الرغم من أن هذا المصطلح منذ ظهوره في الغرب لـم يـكـن يـعـبر عـن اتجاه فكري محدد ، ولم يكن دعاة الحداثة متفقين على الثورة على المعتقدات والأفكار السـائـدة . فهذا واحد من أكبر رواد هذا الاتجاه وهو الشاعر ت.س. إليوت يقول: "أنا كاثوليكي في العقيدة ، ملكي في السياسة ، كلاسيكي في الأدب". فالمصطلح في أصله دعوة إلى الـتجـديـد في الأدب ، ولا يتضمن بالضرورة الثورة على المعتقدات السائدة ، ولهذا فـإن الحداثيين في الغرب ينتمون إلى اتجاهات فكرية مختلفة .
وحتى أصحاب الاتجاه الحداثي من العرب لم يتفقوا على تعريف محدد لـلحـداثـة ، ولا عـلى موقـف فـكري مـعين ، لذلـك يـرى الكـثـير منهـم أنه ليست هناك حداثة واحدة بل حداثات ، كما أن بعضهم يعترف بالعجز عن إيجاد مفهوم نظري للحداثة ، ويرون أنه لا سبيل إلى ذلك . ويدعو البعض إلى محاولة استنباط مفهـوم هـذا المصطلـح ودلالته من خلال استقراء النصوص التي يرى النقاد أنها تحمل من سمات التجديد ما يميزها عن الاتجاهات التقليدية.(1)
ولكن أولئك الذين حاولوا أن يستغلوا هذا المصطلح ويحتكروه يصرون على أن يحـمـلـوه مـا يـريـدون مـن معان فكرية ، بل إنهم حاولوا ان يوجدوا رباطاً وثيقاً بين التجديد في الأدب والثورة على المـعتـقـدات ، مـؤكـدن على أنه لا يمكن للأديب أن يطمع في أن يكون مجدداً إلا إذا تخلص من دينه وعاداته وتـقـالـيده ، رابـطـين بمـكـر بـن ما هو مسلم بوقوعه وهو التجديد في الأدب ، وبين ما لا يمكن لمسلم أن يرض به وهو الـتغـيـير في العقيدة . وكأنهم يـريـدون بـذلـك أن يحـتكـروا لأنـفـسهـم ولمذاهبهم كل شعار جذاب كالتقدمية والحـداثـة والاستنارة والوعي ، وأن ينعتوا مخالفيهم بـكـل نـعت رديء كالتخلف والجمود والرجعية . وبهذا يتبين أن أصحاب الأفكار المنحرفة من الذين تـلقـفـوا مصطلح الحداثة لم يقتصروا على احتكار الاسم بل حاولوا

أن يحتكروا المسمى . وقد نجحوا في ذلك إلى حد كبير حتى أصبح الكثيرون من المؤمنين ينفرون من التجديد في الأدب نـفـوراً إيـمـانياً عقدياً ، لا نفوراً فنياً ذوقياً .
وكـان مما ساعد على ذلك سيطرة هؤلاء المنحرفين على الساحة الأدبية وتمـكتنهـم متن أن يصهروا في بوتقتهم الكثير من الأدباء ، حتى أصبح الكثير من الأدب الذي يحمل السمات الفنية للحداثة يتضمن أموراً منكرة تصل إلى حد الكفر الصريح بالله -عز وجل-.
إن الربط بـين التـجـديد فـي الأدب والانحراف في الفكر، وإيهام الناشئة أن لا يمكن لهم تحقيق التحديث إلا بنبذ العقيدة ، واعتــبار المـوروث الأدبـي والمـوروث الديـني سواء في وجوب تجاوزهما والتخلي عنهما أمر مرفوض جملة وتفصيلاً . لذلك يجب أن يحـرر لـفـظ الحداثة مما ربطه به المارقون من أفكار ، وأن يبقى ذا دلالة أدبية خالصة .
وإذا كانت ظاهرة الاستهتار بالدين قد فشت في الأشكال الأدبية الجديدة فإن هذا لا يـعـود إلى ارتباط حتمي بين الأمرين . إذ أن لذلك سبباً آخر هو انتشار الفكر المـنحـرف فـي هـذا العصر بشكل لم يسبق له مثيل بين المسلمين ، وكان من الطبيعي أن تظهر هـذه الأفـكـار في الأدب أيـا كـان شكلـه واتجـاهه ، ولو أن الأشكال الأدبية الحديثة لم تظهر وبقي الأدب على شكله القديم لحمل من تـلـك الأفـكار مثلما حمل الأدب الحداثي . آية ذلك أننا نجد الانحرافات العقدية في إنتاج كثير من الأدبـاء الـذيـن عـاشـوا قبل ظهور الحداثة، والذين يعدون في ميزان النقاد من المحافظين حيث التزموا بالشعر الـعمـودي ، وبـطـرائـق شـعـراء العصور الأولى ، ومن شواهد ذلك قول أحمد شوقي مخاطباً النيل :

دين الأوائل فيك دين مروءة   لمَ لا يُؤلَّه من يقوت ويرزق

وقوله في الوطن :

ولو أني دُعيتُ لكنتَ ديني عليه أقابلُ الحتْمَ المجابا
أُديرُ إليك قبلَ البيتِ وجهي   إذا فُهْتُ الشهادةَ والمتابا

وقوله مخاطباً شباب مصر:

وجهَ الكنانة ليس يغضب ربَّكم   أن تجعلوه كوجهِهِ معبودا
ولُّوا إليه في الدروس وجوهكم   وإذا فزعتم فاعبدوه هجودا

وقول بدوي الجبل :

فـكـان لله حكمٌ   لشقوتي بل لسعدي
واختار بعدي عنه   وراح يبكي لبعدي

ويقول ايضاً :

نشارك الله - جل الله - قدرته   ولا نضيق بها خلقاً وإتقاناً
وأين إنسانه المصنوع من حمأ   ممن خلقناه أطياباً وألحانا

ولو جلا حسنَهُ إنسانُ قدرتنا لود جبريل لو صغناه إنسانا

ويقول النجفي :

لم أشارك غيري لأني كربيَّ واحد لا شريك لي في القوافي

هـذه أمـثلـة لـكثـير ممـا تـضـمنه الـشـعر التقليدي الحديث من زيغ وضلال . بل إن كثيراً منالأدب القديم يحمل في طياته انحرافـات خـطـيرة فـي مجال الأخلاق والعقائد ، فهناك كثيرون من الأدباء الفساق والزنادقة، وهناك أدباء لـلمـعتـزلـة والخـوارج والرافضة سخروا أدبهم لخدمة معتقداتهم الباطلة ، وهناك الشعراء الذين عاصروا الرسول -صلى الله عليه وسلم- وسخروا شعرهم لهجائه والاستهزاء به وبأصحابه .

وإذا فـإن مـا زعـمـه بـعض المـنحرفيـن من الربط بين تحديث الأدب والانسلاخ من العقيدة ومجاراة بعض المخلصين لهم بسبب مـا تـضمـنه الأدب الحداثي من انحرافات عقدية أمر غير صحيح . فتحديث الأدب والتخلي عن طـرائـق الـسـابـقيـن ومـفـاهيمهم النقدية أمر لا علاقة له بالعقيدة ، فكما أن سير الأديب على منهاج الأقدمين لا يبرر قبول أدبه المنحرف ؟ كذلك فإن اتباع الأساليب الجديدة ، وتبني المفاهيم النقدية الحـديـثة لـيـس مبرراً سليماً لرفض ذلك الأدب إذا كان سليماً من الناحية العقدية . فالمعيار العقدي الفكـري لا مـجـال لاستخدامه إلا فيما يتعلق بالمضمون الفكري للنص . أما بالنسبة للمعايير الـنـقـديـة فـالأمـر فيها واسع ، ومن حق الناقد أن يرفض ما لا يوافق ذوقه ومفاهيمه النقدية.

وإذا كان بعض المنحرفين فكرياً قد حاولوا تبني مصطلح الحداثة واحتكاره ، وهو مصطلح براق ، فإن هذا لا يعني التسليم لهم بذلك ، بل ينبغي تسمية المنحرف بالاسم الذي يليق به كما كان السلف يسمون أمثال هؤلاء بالزنادقة والمارقين . ويلاحظ أن السلـف لـم يـتـلقوا الأسماء التي سمت بها بعض الفرق نفسها بالقبول ولا سيما إذا كانت أسماء بـراقـة تتضمن الـتزكـة والـثنـاء ، فـقـد رفـضـوا تـسمية المعتزلة لأنفسهم أهل العدل والتـوحـيد وسمـوهـم المعتزلة، وسموا الشيعة بالرافضة بـدلاً مـن وصـفـهـم لأنفسهم بأنهم شيعة علي -رضي الله عنه- .

وهناك مسألة مهمة مرتبطة بقضية تحديث الأدب ، وهـي مـسألـة الـدعـوة إلى كسر قواعد الـلغـة العربية ، وهذا أمر مرفوض . والفرق واضح بين التجديد في الأدب ، وبـين الـعبـث باللغة ، إذ أن هـذا الأمـر يمـكن أن ينتج عنه نتائج خطيرة تتصل بفهم النصوص الشرعية وتفسيرها، ويؤدي إلى الاضطراب والخلخلة في فهم العقيدة والشريعة .

شعر

قراءة في زمن المحنة

عبد العزيز بن محمد السالم

الحـــق في الدنيا يقال ويُسمـعُ والـنـاسُ نـحـو ضيائه تتـطـلـع
وعلى فؤادي ألفُ ظلِ مـن أسى تجتاحني في النائبات وتُـفـــزعُ
يا أمـتـي جـل المصابُ فـمـا أرى للخرق مَـنْ يرفو ولا مَنْ يرقــعُ
مــاذا أقـول وفـي فمي مـــاءٌ ولا أدري مـن الآلام مــاذا أصنـعُ
يـا إخـوةً ركـبوا سفينَ نجاتهــم والناس في لُجج الغـوايـة ترتعُ
إنـي أقـول لـكـم مـقـالـةَ مشـفـقٍ رامَ النصيحةَ قـلـبـه يـتـقـطـعُ
لا تـحـزنـوا مما يـقـال ولا تخـا فوا فالدنى لكم تذلُّ وتخــضــعُ
وإذا ادلَّهم الخَطب فاجتمعوا إلى عـلـمـائـكم إلى رؤاهم فارجـعـــوا
يـا أيـهـا الـعلـماءُ يا تاجاً علــى هامـاتـنا بالصالحات مُرَصــــعُ
يـا غـرةً فـي وجـه أمـتـنـا بــــه صرنا نتيه على الورى،نترفـــعُ
يـا شـعلـةً في الليل، يا علَماً لـه في كـل نـازلـةٍ نـهـبُّ ونـفـــزعُ
يا أيها الـعـلـمـاء أنـتـم غـصَّـــةٌ في حلق مَنْ بالشائعات تذرعــوا
ولـسـانُ مَـنْ ظـلـموا يلوكُ فعالكم وعقاربُ الفساقِ أضحتْ تلسـعُ
والـبـغـي بـاتَ مـفـكّرا وجـنودُه هـذا يـخـاصـمـكم وهذا يخــدعُ
خسئت جنودٌ صارعتْ شرفَ الفضيـ لةِ إنَّ مـنْ رامَ الـفـضـيلةَ يُضرعُ
إنْ كـان فـي الـدنيا حبال قُطِّعَتْ جـهـراً فحبلُ عقـيدتي لا يُقْطَعُ

شعر

الدينُ دينُك فانتصرِ

مروان كجك

الـديـنُ ديـنُـك فانتَصـرْ واعــصِـفْ بجـبَّـار أشـــرْ
واجعلْ جموعَ المعتــدي أعجازَ نـخـلٍ مـنـقـعـــرْ
وكتبْ لنا نـصـراً علــى حشدٍ تـواطـأ وأتـــمـــرْ
لـم نـبـغِـهـم ظلماً ومـا كـنـا نُـقـاسـهـم ثـمـــرْ
أبـداً ولـم نـدفـعْ بهــم للجوعِ أو قضْمِ الشجـــرْ
كـنـا لـهــم نوراً يشِـعُّ ودوحـة مـن كـلِّ حـــرْ
كـنـا لهم نبراسَ علـــمٍ خالصٍ من كل شـــرْ
فَـلـكَم أتى من راهــبٍ أرضَ الجزيرةِ واستقـــرْ
وأقـامَ فـيـنا دارســـاً مُـسْـتـلْـهـماً منا الصُّــورْ
مـتـمـتـعـاً بالـــعدلِ لا يخشى الأذية من بـشـــرْ
حتى إذا ما قاربَ الميعا دِ واكـتـمـــل الــظـفـــرْ
عـادت بـه أشـواقُـــهُ لـذويه وانـبـثـقَ الـزَّهــرْ
فـأتـى دواويـنَ الفِــــرَ نجةِ حاملاً شتى الـعـبـرْ

مـتـرفِّـعاً عن جهلـهـــم صُلبَ الـعـزيمةِ والـخـطـرْ
مـتـرنـمـاً بالـمسلـميــــن ذوي الهدايةِ والفِـكــر
مـسـتـبشِراً بغدً يُصــــاغُ على الدرايةِ لا الـغَـرَرْ
فلقـد تقلَّد في ديار محمـد أبـهـــى الــــــــدررْ
ألـقـى الغوايةَ جانِبـــاً وأصاخ سـمـعـاً ونـظــــرْ
وأبــلَّ مــن إعـــيائــهِ وزهـا وأشرفَ وافتخـرْ :
أنـا فـي معـاهد أمـــةٍ مـحـمـودةٍ نـلـت الوطــرْ
وعَبَبْتُ من نَهر الفحــولةِ لا شـذوذً ولاكـــــدرْ
وعلِمتُ في تلك المـــدائنِ ما الحقيقةُ،ما الخبـرْ
أمطَّت عن جهلي اللِّثــامَ ورُحـت أنـشُدُ المدخـرْ
أكـرمْ بهم من قاصديــــن الله فـي بـرٍّ وبـحـــرْ
أشـهـى الديارِ ديارُهــمُ وأعـزُّها في كـل دهـــــرْ
أهــلُ المروآتِ الحســـان وخـــيرُ أبناءِ البـشـــرْ
لا يظلمونَ النـــاس لا، أو يـسـتـبـد بـهـم نـفـرْ
فالأمر شورى بينـهـم والعدلُ إحـسـان وبــــرْ
لا تـعـجـبنَّ فجدُّهـــم مـن خير يعربَ قد ظهـرْ
أزكـى النفوسَ طهــارةً وبـذاك ربُّـك قـد أمـــرْ
وعلا بهم حتى عَلَــوْا قـمـمـاً شـوامـخَ لا حفـرْ
فـاحـزِم متاعَك راغبــاً وأئـتِ السـبـيلَ المعتَـبـرْ
وارشِـفْ زُلالَ نميرِهــم ودعِ العِـمــايـةَ والخــدرْ
فـالحـقْ مفـتاحُ العلـــوم وأسُّـهـا الدينُ الأغـــرْ

المسلمون في العالم

تفكك الاتحاد السوفييتي ونظرية الصراع

عندما وقع الانقلاب الأخير في مـوسـكو فرح بعض البائسين واليائسين من العرب لأن هذا بظنهم سيعيد التوازن بين الشرق والغـرب ، وقالوا :
إن بقاء الاتحاد السوفييتي يتيح لنا الـمـناورة ، بينما نحن الآن تحت رحمة دولة واحدة تتحكم في العالم ، والحقيقة أن من يفكر هذا التفكير إنما ينطلق من فقره الروحي والفكري ومن الفراغ الذي في نفسه ، فحسب منطـقه هذا" لا بد أن نعيش تحت حماية هذه الدولة أو تلك وأمريكا الآن هي الكل في الكل!
وأمـثـال هـؤلاء لا يدركــون ســنــن الله -سبحانه وتعالـى- في حوادث التاريخ ، وأن هذه الأرض لا تخلو من صراع ليميز الله الخبيث مــن الطيب ، وأن هــذا السقوط المريع للشيوعية ولدولة تبلغ مساحتها " 22 مليون كم 2" إنما هو

نتيجة ظلمها وقهرها لشعوب كثيرة منها جزء كبير من العالم الإسلامي ابتلعه القياصرة ثم الشيوعيون الروس .
إن هذا السقوط يفـتـح آفاقاً لعودة المسلمين في تلك الديار إلى إسلامهم ، ولعودة الصلة بيننا وبينهم ، ومهما كـــان ابتعاد هـؤلاء المسلمين عن دينهم نتيجة الضغوط والتربية الإلحادية لعشرات السنين ، فلا شك أن ابتـعـادهـم عن الهيمنة الروسية الاستعمارية فيه خير، وهم على كل حال فيهم أمراض العالم الإسلامي الذي يظهر لبادي الرأي أنه قد استقل من زمن عن الهيمنة الغربية. فالعشائرية والقومية الضيقة موجودة عند هذه الشعوب ، ولكن اتصال المسلمين بهم سيمكن مـن نشر الثقافة الإسلامية وعودة الروح إليهم ، إن الجمهوريات التي تسكنها غالبية مسلمة وكـانـت سـابقـاً غـير تـابـعـة لروسـيـا تمر الآن بمرحلة عدم التوازن فيختلط التأثير الديني مع القومي ، والمحاربون القدماء من الشيوعيين لن يتنازلوا بسهولة مستغلين العرقية والقبلية، فـهـم يمــرون بمـرحـلـة تشـبـه مـن بعـض النواحي الفترة التي خرجت فيها الشعوب الإسلامية من تحت الهيمنة الاستعمارية المباشرة .إن سقوط الاتحاد السوفييتي لا يعني أن الطرف الآخر سينفرد بالعالم ، لأنه ستبرز دول كـثـيـرة - بأمر من الله - تكــون عبئاً على أوربا والغرب بشكل عام وسيعود الصراع على الحدود وستسـتـمـر القوميات تفكك غير الاتحاد السوفيتي أيــضـاً (كـمـا يـقـع الآن في يوغوسلافيا) وإذا كانت أمريكا سابقاً تخوف أوربا من الاتحاد السوفييتي فهل ستبقى أوربا تحت أسر هذا الخوف وتقبل بالزعامة الأمريكية بعد تلاشي الإمبراطورية الروسية.
لقد قاست الـيـابـان وألـمـانيا بعد الحرب العالمية الثانية من الضغوط والتقسيم ، والشروط القاسية ، ولكنهما خرجـتـا بإنتاج علمي اقتصادي جعلهما تعودان لمركز الصدارة في عالم السياسة ، ونبقى نحن بحـاجـــة إلى مظلة دولة كبرى حتى نستطيع العيش مع أن موقف الاتحاد السوفييتي من قضايانا كـــان موقفاً سلبياً مصلحياً كأية دولة كبرى ، وقد تولى هو وأمريكا كبر تغذية إسرائيل بالمال والرجال .

فلسطين

لم يكن متوقعاً من المجلس الوطني الفلسطيني أن يتخذ قرارات أفضل مما اتخذه في مؤتمره الأخير في الجزائر. لأن كل الحوادث الـسـابقـة وكل المخططات التي هيئت ونفذت خلال العقود الأخيرة كانت تعد لمثل هذا العمل ولمثل هــذا الـهــوان ، بداء من ممارسات منظمة التحرير التي كانت تقدم كل يوم تنازلات جديدة وانتهاء بحــرب الخـلـيـج التي أوصلت الأمة إلى أضعف حالاتها .

وقـد عـبـر هاني الحسن أحد مستشاري عرفات عن هذا حين قال :"أستطيع أن أقول لكم بدون خـــوف من المنصب بأن هؤلاء الذين يشكلون قيادة التيار الرئيسي في منظمة التحرير كانوا منهـمـكـيـن فـي الجـزء الأكبر من السنوات العشرين الماضية في صراع حياة أو موت لتحضير الأرضية من جانبنا للوصول إلى حل سياسي عن طريق التفاوض مع إسرائيل"(1)
لقد فوض المجلس منظمة التحرير (العمل للمشاركة في التسوية على أن يتم إقرار الخطوات بشكل نهائي من قبل المجلـس المركزي) وكأنه لم يبق للمجلس ولا للمنظمة شيء فكان هذا القرار ، وكانت رحلة الـعـــذاب والمعاناة التي صبت فوق رؤوس الشعب الفلسطيني مقدمة لوصوله إلى حالة من العجز أو اليأس ومن ثم الرضوخ لأي مطلب ، والحصول على أقل ما يمكن .
ونحن عندما نكتب عن قرارات المجلس الفلسطيني فإننا نتفهم معاناة الفلسطينيين والواقع الألـيـم الـذي وصـلـــوا إلـيـــه، ونـتـفـهم المرارة التي يذوقها الشعب في الداخل، والـوضـع الاقتصادي المنهار ، ونتفهم قضية الترحـيـل ووثـائـق الـسـفـر ، كـل هذا في الحسبان مما يسمونه الواقعية السياسية . ومع ذلك فكلمة (لا) في وجه الإذلال والـطـغـيان الإسرائيلي أفـضـــل من كلمة (نعم) . قد يقال : يجب أن نكون واقعيين ونلحق بالقطار قـبـل فــوات الأوان . وقـــد يـقـال : إن الـذين يقولون (لا) لا يملكون البديل المطلوب ، ولكن هل الذين يرضخون في كل يوم رضوخاً أكبر من سابقه ؛ سيأخذون شيئاً يستحق هذا الرضوخ ، وهل سيعطون الحد الأدنى من المطالب ؟ وبماذا سيرجعون من هذا المؤتمر ؟!
إن المشروع الأمريكي يقول : "الجـلـسة الافتتاحية تستغرق يومين فقط ، ثم تجتمع اللجان الثنائية" "المؤتمر يعود للانعقاد باتفـــاق الجميع" فإذا رفضت إسرائيل العودة فلها الحق في ذلك ، وتكون في هذه الأثناء قد قضمـت أكـثـر الـضـفـة الغربية وزرعت العمارات فيها هنا وهناك للقادمين من روسيا .
وعبارة الأرض مقابل السلام تفهمها إسرائيل أنه يتعين عـلـى الـعـرب أن يعـطـوها الأرض مقابل السلام. فهي تمتلك قنابل نووية كما ذكر تقرير مؤسسة (كارنجي للسلام الدولي): "وينتج مفاعل ديمونا كميات كافية لتصنيع قنبلة ذات قوة تدميرية مثل التي ألقـيت على هيروشيما ومن المرجح أن يكون الأمريكيون قد بنوا مفاعلاً آخر إلى جانب المفاعل الفـرنسي ينتج خمسة أضعاف الكمية الأولى".(2)
ونحن لـسـنـا من الذين يحبون المعارضة للمعارضة ، أو من الذين يجارون ويداهنون التيار الشعبي ولو كـــان ضـد قـنـاعاتهم ، فهذه قضية المسلم الأولى ، ويجب أن نتعامل معها من موقف مبدئي عقائدي.

الهوامش :

1- قضايا دولية : نشرة بالعربية تصدر عن معهد الدراسات السياسية - باكستان
2- الأسبوع العربي 14/10/1991

رسالة تركيا

عبد المنان جولحة

0• قبرص التركية والضغوط الأوروبية :

ذكرت صحيفة (مللي غازيت) التركية التابعة لحزب الرفاه الإسلامي "أن اللجنة السياسية الأوروبية اقترحت إعادة منطقة (ماراش) إلى القبارصة اليونانيين وتجهيزها على حساب دول السوق المشتركة ، وقد قام عضو البرلمان الهولندي (ماتهيلد) بزيارة رسمية لقبرص وأجرى مباحثات حول المشكلة القبرصية" وأكدت الصحيفة أن "تصرف تركيا وسياستها الخارجية غير الصريحة زاد من الضغوط الغربية للمساومة على قبرص التركية، وإن سياسة إرضاء حكومات السوق الأوروبية المشتركة مما يزيد تعنت الأعداء وتراكم طلباتهم".

ومن الجدير بالذكر أن عدد مسلمي قبرص التركية يقارب (170) ألفاً وعاصمتها (لفكوشا) وقد تأسست جمهورية قبرص التركية عام 1973 وتعتبر اللغة التركية هي اللغة الرسمية وتبلغ مساحتها35 % من المساحة الكلية للجزيرة والمسلمون في هذه الجزيرة بحاجة ماسة إلى العلم وأن تفتح أمام شبابهم أبواب المعاهد والجامعات الإسلامية .

0• من أخبار المسلمين في تركيا :

مع قرب الانتخابات التركية صرح رئيس حزب الرفاه الإسلامي البروفسور نجم الدين أربكان بأنه في حال فوز حزبه فإنه سيلغي الربا بكل أنواعه وسيدعو لإنشاء سوق إسلامية مشتركة ، ولن يسمح للنفوذ الأجنبي بالتدخل في شؤون تركيا . وبمناسبة الحديث عن الانتخابات العامة القادمة فإن بعض المسلمين في تركيا -كما هو حالهم في كثير من بلدان العالم الإسلامي - ليس لديهم الوعي الكافي لمعرفة المصلح من المفسد، فبعض المسلمين يؤيدون حزب (الطريق السوي) الذي يرأسه سليمان ديميريل ، والبعض يؤيد حزب الوطن الأم (الحزب الحاكم) بزعامة مسعود يلماظ وجماعة الشيخ النورسي أيدوا في السابق حزب ديميريل والآن يصرون على مهاجمة حزب الرفاه الإسلامي وتأييد الأحزاب العلمانية .

امرأة وموقف

المجاهدة المؤمنة "أم عمارة"

مؤمنة الشلبي

نسبها :

هي نسيبة بنت كعب ، بن عمرو ، بن عوف ، بن مـبذول . أنصارية خزرجية ، نجارية مازنية مدنية، وفاضلة مجاهدة من شـهـيـرات الـصـحابيات ، ومن أسرة كان لكل فرد من أفرادها مواقف عظيمة لا يتسع المجال لذكرها .
فـأخـوهــا عبد الله من البدريين ، وأخوها عبد الرحمن من البكائين ، أما ابنها حبيب بن زيد الذي أرضـعـتـه حـب الله ورســوله مع اللبن ، وأنشأته على يديها ، فهو الذي أسره مسيلمة الكذاب وصار يقول له :
- أتشهد أني رسول الله ؟ ، فيقول حبيب : لا أسمع . فيقول مسيلمة :
- أتشهد أن محمداً رسول الله ؟ فيقول حبيب : نعم ، فيقطع عدو الله منه عضواً وما زال يسأله ويجيبه بما قال له حتى قطعه إرباً إرباً، وأبت عليه بطولته وأبى عليه حبه وولاؤه لله ولـرسـولـه أن يداهن في موطن تجوز له التقية فيه ما دام قلبه مطمئناً بالإيمان، ولـكـن المؤمنين الأبطال يأبى عليهم إيمانهم إلا العزائم .
أما نسيبة -رضي الله عنها- فقد كانت في أسرتها الفاضلة قطب الرحى بمواقفها العظيمة، فقد شهدت ليلة العقبة، وشهدت أحداً ، والحديبية ويوم حنين ، ويوم اليمامة ، وفقدت في حروب الردة يداً وابـنـاً في سبيل الله حتى استحقت أن تنال شرف مقولة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : "لمقام نسيبة بنت كعب اليوم - أي يوم أحد- خير من مقام فلان وفلان" .

الموقف :

روى ابن سـعـد فـي طـبـقاته عن محمد بن عمر قال : حدثي أبو بكر بن عبد الله ابن أبي سبرة عن عمرو بن يحيى عـن أمـه عن عبد الله بن زيد قال :
شهدت أحداً مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، فلما تفــرق الناس عنه دنوت منه أنا وأمي نذب عنه فجرحت جرحاً في عضدي ، وجعل الدم لا يرقأ ، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : اعصب جرحك ، فتقبل أمي ومـعـهـا عـصـائـب فـي حقوها قد أعدتها للجراح ، فربطت جرحي والنبي -صلى الله عليه وسلم- واقف ينظر إلـيـهـا ، ثم قـالـت : انهـض يا بني فضارب القوم ، فجعل النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول : ومن يطيق ما تطيقـيـن يا أم عمارة!!
تقول أم عمارة : رآني رسول الله -عليه السلام- ولا ترس معي ، ورأى رجلاً مولياً يحمل ترســاً ، فقـال رسول الله : ألق ترسك لمن يقاتل ، فألقى ترسه فأخذته وجعلت أتَرَّس فيه عن رسول الله حتى جرحت ثلاثة عشر جرحاً .
ولما نظر رســول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى جرح على عاتقي غائر قال لابني :أمك ، أمك . اعصب جـرحـهــا، بارك الله عليكم من أهل البيت ، لمقام

أمك خير من مقام فلان وفلان ، رحمكم الله أهــل البيت ،لمقام ربيبك يعني (زوج أمه) خير من مقام فلان وفلان ، رحمكم الله أهل البيت .
فقالت أمي : ادع الله أن نرافقك في الجنة ، فقال رسول الله :
اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة ، فقالت : ما أبالي ما أصابني في الدنيا .

تحليل الموقف :

حقــاً إنها لبطولة تستحق التسجيل والوقوف عندها ، فكم تقر العين ، ويثلج الصدر حين يطالــع الـمسلم تلك المواقف المشرفة ، والسيرة العطرة لهذه المجاهدة الغازية ، والجندية المقاتلة التي نذرت نفـسـهــا منذ أن بايعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يوم العقبة للدفاع عن عقيدتها ضاربة أروع الأمـثـلـة لما ينبغي أن تكون عليه المرأة المسلمة في المجتمع الإسلامي إيماناً بالعقيدة ، وثباتاً عليها ، وتضحية في سبيلها ، وتربية لناشئتها.
فلقد أيقنت أم عمارة -رضي الله عنها- يقيناً جازماً أن هذه العقيدة التي آمنت بها تقتضي ألا يظل الإيمان بها مستقراً في القلب كحقيقة مجردة راكدة وإنما حقيقة حية وعمل يبرهن على صدق الاعتقاد .
ومن هذا المنطلق انطلقت نسيبة -رضي الله عـنـهـا- كاللبوة في ساحات الوغى بكل بسالة ورباطة جأش ، ودون أن يعرف الجبن والوهن سبيلاً إلى قلبها العامر بالإيمان ، فحجزت ثوبها علي وسطها، واندفعت تذود عن رسول الله حتى جرحت ثلاثة عشر جرحاً ، ولم تمنعها جراحها وآلامها من مواصلة طريق التضحية والـفــداء مـقـابـل الدفاع عن قائد هذه الأمة وهاديها إلى الإسلام حتى لو كانت هذه التضحية في أغلى وأعـز الناس إليها...
فها هي تقول لابنها وفلذة كبدها بعد أن ضمدت له جراحه : انهض يا بني فضارب القوم ، ويشهد لها رسول الله بحسن البلاء والدفاع عنه فيقول : "ما التفت يمـيـناً ولا شمالاً إلا وأنا أراها تقاتل دوني" .
أجــل يا اختاه : إنه الحب الفياض الصادق لله ولرسوله ليصنع الأفاعيل العجـيـبـة مــن الثبات والتضحية والإقدام .
فهــذه أم عمارة تعرض نفسها لخطر الموت مقابل أن يبقى من أحبته أكثر من مالها وولدها ونفسها التي بين جنبيها سالماً لا تصيبه شوكة ولا تناله يد مشرك .
وها هي أيضاً تعطينا أروع النماذج الطيبة المباركة في حب الله ورسوله حيث كان منها: أن أول مــا نطقــت به بعد أن أفاقت مما غشاها من شدة ألم الجراح أين رسول الله ؟ ما صنع المشركون برسول الله ؟ فلما قالوا لها بخير اطمأنت نفسها ولم تبال بما كان من جراحها .
فيا لها من قلوب علت فوق القلوب ، ويا له من حب وفداء ، لو أن المسلمين على كثرتهم في يومنا هذا تذوقوا حلاوته لما غلبهم غالب ولا كان في الدنيا من يتبوأ الصدارة سواهم...

صحة

استنشاق الأجسام الغريبة

د. محمد صايل اهليل

يقصد باستنشاق الأجسام الغريبة دخول جـسـم غـريـب بطــريــق الخـطـأ إلى الحنجرة أو المجاري التنفسية السفلى أو ما يصاحبه من أعراض أو مضاعفات .

واسـتـنـشـاق الأجـسام الغريبة مهم من الناحية الطبية وذلك أن حياة الطفل تنتهي خلال دقائق لا تتجاوز الخمس على الأكثر .

يتعرض الأطفال أكثر مــن غـيـرهــم لاسـتـنـشاق الأجسام الغريبة ، وذلك لأنهم يميلون إلى التعرف على مختلف الأجسام المحيطة بهم عــن طـريــق حـسـهــا بالفـم والتعرف عليها بوضعها في أفواههم ، ويبدأ احتمال تعرض الطفل لمثل هذه الحوادث حالمـا يبدأ بالإمساك بالأشـياء المحيطة به ووضعها في فمه . وهذا يبدأ بالشهر الرابع من العمر فكل مـا تـصــل إليه يده، يضعه في فمه دون تمييز.إن الأعراض الناجمة عن استنشاق جسم غريب تتفاوت في شدتها من درجة الاختناق الناجم عــن انـسـداد مجاري التنفس بالجسم الغريب . فقد تصل إلى الوفاة، وأحياناً تمر دون أن تلاحظ إلا بعد حدوث مضاعفات مستقبلية . وأكثر ما يميز استنشاق الأجسام الغريبة موجة الاختناق التي تظـهــر على الطفل بشكل عاصف من سعال شديد وغصة ، وشرقة (Choking) وصعوبة في التنفس ، وازرقاق الوجه والجسم أحياناً .

ولمعرفة كيفية تجنب الأطفال استنشاق الأجسام الغريبة ، لا بد وأن نعرف مصادرها وهي تتلخص فيما يلي :

1- أرض البيت : إن أي جسم صغير ملق في أرض البيت يشكل خطراً على صحـة الطفل الذي يبدأ الحبو أو المشي . وإن الازرار، والسبحات ، والخــرز وحــب الحـمـص وحب الفستق والمكسرات والقطع المعدنية والأدوية... الخ هي من الأجسام الغريبة السهـلــة ليد الطفل أن تتناولها بخفة خلال ثوان بعيداً عن عيون الأهل .

وقد يحدث تناول الجسم خلال ثوان وأثناء وجود الأبوين ولكن دون رؤية أحدهما للطفل، لــذا فــإن رفــع هذه الأجسام أفضل بكثير من تركها بين يدي الطفل مع الاعتماد على أن الأب أو الأم يجـلـس أمام الطفل يراقبه ، وحسن الظن أن الطفل الصغير لا يمكن أن يفعل هذا .

2- ألـعـاب الأطفال: إن خشخيشة الـطـفــل الـكسورة التي تحوي بداخلها عدة خرزات، وإن عيـون لـعـب الأطفال التي يمكن انتزاعها ، وإن أزرار ملابس بعض اللعب أو الأجزاء الصغيرة الآيلة إلى السقوط منها كالعيون أو

الأنف أو البراغي أو الأسلاك أو الزنبركات هي مصادر خطر على الطفل الذي يلعب بها ، إذ أن سقوطها بفمه أثناء لعبه بها أو تناوله لها بعد سقوطها على الأرض قد يتسبب في اختناقه .
3- ملابس الطفل : تشكل بعض الأزرار السهلة الانتزاع أو الدبابيس التي يسهل فكها من قبل الطفل ، جسماً غريباً يمكن أن يختنق به .
4- طعام الطفل :يجب أن يتناسب طعام الطفل مع عمره ونمو أسنانه ، فقد يختنق الطفل بطعام يحوي بذوراً كالبطيخ أو العنب ، أو لا يستطيع طحنها كالمكسرات والبندق والفستق أو حشو فم الطـفـل بالطـعـام والشراب رغم رفضه لها وبكائه الشديد ، كما أنه يجب عدم ملء فم الطفل بالدواء بنفس الكيفية مع رفضه وبكائه الشديد..
هناك أمر آخر لا بد من شـرحــه للأطفال الذين تتجاوز أعمارهم سن الخامسة، وهو عدم تقليدهم ما يرونه أحياناً في التلفزيون مثلاً - أعمال وحركات بعض ممتهني خفة اليد من وضع أجسام غريبة كالمعادن والكرات الصغيرة في أفواههم ومحاولة ابتلاعها .

مع الكتّاب

مع تقديرنا وشكرنا لكل من شــارك أو يود المشاركة في الكتابة لمجلة البيان ، فنحن نعلم أن ما دفعهم لهذا إلا ثقتهم بمنـهـج المجـلــة وتشجيعهم لها ، ولكن لا بد من ملاحظات توضيحية توفر الوقت والجهد علينا وعليهم :
1- بعـض المقالات أو المشاركات لا بد أن تبدأ بالحديث عن فساد الزمان وضعف المسلمين وتآمر الأعـداء... الخ ، ونحن نرى أنه لا داعي لهذه المقدمات الطويلة المكررة ، ونرى أن الدخول في صلب الموضوع مباشرة هو الأفضل ، وإذا كان لا بد من مدخل فليكن في الموضوع نفسه .
2-كثير مــن الـمـشـاركات فيها نغمة حزن وبكاء على الأطلال ، والتحسر على الماضي . والحقيقة أن هذا لا يفـيـدنـا في شيء ، وإذا كنا جادين فنحن نقتدي بأسلافنا في جهادهم وأخلاقهم وحبهم للعلم ، ولا داعي للتحسر الكثير .
3- بعض المشاركين يكتب مـقـالاً طـويـلاً ، ليس لنا مأخذ عليه ، فالمضمون صحيح ولكنه كلام عام عن الإسلام قد قيل كثيراً ، فـلا داعي لـتـكــراره ، والذي يريد الكتابة لا بد أن يسد نقصاً أو يوضح غامضاً أو يركز على قضية قد غفل الـنــاس عنها ، أو مناقشة أمر مهم من قضايانا المعاصرة...
4- قد يعاني بعض الإخوة من مشكلات إقليمية ضيقة ، في قريته أو مدينته ويظن أن هذه الـمـشـكـلـة مـمـا يهم العالم الإسلامي كله ، فيرسلها للنشر وهي لا تصلح لأن مصطلحاتها وطريقة عرضها تدل على أنها مشكلة خاصة جداً .

منتدى القراء

ما هذا السبيل ؟

نايف بن محمد العتيبي

إن مثل من يريد أن يعيش في هدوء وسـبـات عميقين والكروب تكرب وتقرب والشدائد تشد حصارها بمحيطه القريب تكاد تجعل النـهـار ليلاً حزيناً ، وتجعل الشاطئ الدافئ أمواجاً متلاطمة وتجعل الهدوء اكتئاباً...

إن مـثـلـه كمثل من جلس على سكة الحديد واغمض عينيه وأصم أذنيه ويظن بذلك أنه.. زال الخطر!

والحقيقة مـعـلـومة.. والنتيجة محتومة... إلا أن يشاء الله غير ذلك . ما هذا السبيل الذي به يتخلص المرء من ما ادلهم من خطوب وما يطرأ من حوادث جسيمة - أن يغمض عينيه ويصم أذنيه...

تلك الخطوب والحوادث التي يريدها الأعداء ويكونوا هم سببها المباشر ، بل ويعملون بكل ما أوتوا من وقت وقوة لتحقيق مثلها وأضر...

إنما السبيل متمثل في أمور من أهمها :

- التقوى والصبر ((وإن تَصْبِرُوا وتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً..)) [آل عمران: 120]
- مـتـابـعـة الأحـداث وتحــري الأخـبـار الـصادقة وعرضها على ميزان الشريعة السمحاء
- معرفة الرؤوس الظاهرة(1) والفروع الباطنة(2)، ومعرفة مواطن الضعف والتراخي.
- إعلان الحق كاملاً وإظهاره من أول الطريق والتخلي عن الشوائب.
- عدم الرضا بالدون وموقف الذاب المدافع بل الطموح إلى المقام السامي السائد.

وكل أمر من هذه الأمور له أهميته وفاعليته والإحاطــة بـه مهمة ولا أذكر هذه الأمور على سبيل الحصر وإنما ما رأيته مهماً.

وإن مــن تمـعـن في السبيل وأحاط به ، لا يتخلص من الخطوب فحسب ، بل يستطيع أن يعقدها على من أراعه بها، ويحلها مكاناً من عدوه مصيب.

وأعـجـب لـمـن لا يعرف ما يدور حـولـه.. ولا يريد!! محتجاً بأن ذلك : لا يـزيـد فـي الإيمان..ويميت الـقـلـوب..!! ويا للأسف... أن يتوقــف أولئك الثلة عند هذا الحد.. بل يتجاوز الأمر.. وتعدوا إلى الكوكب المضيئة... إلى الشهب المـحـرقــة الـتـي تـنـقـض على المردة... على الشياطين فتدمغهم..

إن تـلـك الـثـلـة قـد تتنحى عن الجادة شيئاً فشيئاً . وهيهات لمن يسير على الظنون ويريد الوصول!!

الهوامش :

1- الرؤوس الظاهرة : هم العدو الظاهر الذي يظهر العداء .

2- الفروع الباطنة : وهم أخـطــر مــن الأول الذي يعتمد عليهم كثيراً ويعملون في الداخل أثناء الصفوف ..

توجيه إلى الشباب والشابات

سعود بن محمد آل عوشن

لقد لاحظنا في الفترة الأخيرة أن بعضاً من الشباب والشابات قليلي الخبرة بالحياة يتخذون تصرفات مغايرة لرغبـات المجـتمـعـات الـتي يعـيشـون فيـها وقـد يـكـون منه ما هو منافٍ للتوجيهات والمقاصد الشرعية ، ويحاولون فرض تلك التصرفات على غيرهم وقد يتحمسون لهـذا الـتصرف أو يـنفـعـلـون غيـر مبالين بشعور الآخرين ، ويعتبرون مثل هـذا الـتصـرف شجاعة أو قوة أو أي صفة ينتحلونهـا لأنـفسهم ، وهم بهذا لا يعلمون أنهم بالإضافة إلى ما يحدثونه في مجتمعهم من تـفـرقـة أو أضـرار أو أحـقـاد فـهـم ينزلون بأنفسهم وسمعتهم إلى الحضيض بـعـد أن كسبوا ماكسبوا من رقي أو تقدير لا يعرفون هـذا لما يحيط بهم من بعض المشجعين لهم أو الدافعين لهذا العمل السيئ.

والمشجعين أو الـدافـعين لهم لا يعدون أن يكونوا أحد صنفين من الناس : إما مثلهم قليلي الخبرة بالحياة وما يـرفع مستوى الفرد اجتماعياً ؛ أو حاسدين لهم ويدفعونهم لهذا العمل ليحبطوا قيمتهم الاجتماعية حتى لا ينافسوهم أو يتشفوا بإحباطهم.

ولذا نلفت أنظار هذا الصـنف من الشباب والشابات الذين يرغبون في السمعة والإقدام وبناء الشخصية إلى أن ذلك لا يـكون بمخالفة المجتمع وعاداته وأعرافه أو الخروج على الآداب الإسلامية، وإنما يتم بالإسـهـام الفـعال في بناء المجتمع وتنميته على الخط المستقيم ، أما من لا يبالي بسمعته ويتحدى شعور الآخرين وآداب الإسلام فليعلم علم اليقين أن أهم هدف في الحياة هو عبادة الله وفقاً لمنهجه القـويم واتباع سنة نبيه -صلى الله عليه وسلم- ، ولا تتم هذه إلا بالقيمة الاجتماعية وبغير ذلك يكون حيواناً ناطقاً في صورة إنسان.

فليحذر الذين يخالفون أوامر الإسلام وآداب وأعـراف وعـادات المجـتمع أن يقعوا في ذلك من حيث لا يشعرون وأنه بتصرف صغير يهدم ما بناه في عدة سنوات ولكن لا يعلمون هذا.

وأسـأل الله العلـي العـظـيـم أن يلهمنا الصواب ويدلنا على طريق السعادة والـرشـاد ، وأن يكتب لنا سعادة الدارين الدنيا والآخرة إنه سميع مجيب وبالإجابة جدير .

اقتراح لأرباب المال

عثمان بن محمد الخنين

مـن الـمعلوم أن الاختلاط أمر يرفضه الشرع المطهر وحتى الطبع السليم ، لهذا فهناك حلم كان ولازال يـراود الغيورين المخلصين من أبناء المسلمين يأملون تحقيقه في أقرب وقت ممكن ، ألا وهو إنشاء مستشـفيـات متـكامـلة (بكل التخصصات) غير مختلطة بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى .

ذلك أنه منذ بدأ في إنشاء المستشفيات فـي الـعصر الحديـث في العـالم الإسلامي وهي تسير -في الغالب- على النظام الأجنبي حيث الاختلاط والخلوة .

ونحن نعلم أنه قد بذلت جهود خيرة لإصلاح الوضع في بعض المستـشفيات أو المستوصفات (أهـليـة كـانـت أم حكـومـية) عـلـى مـستـوى العالم الإسلامي لكنها جهود ضئيلة لا تلبي الحاجة المطلوبة ولا تحقق الرغبة الملحة . وفي الفـتـرة الأخـيرة بـدأت تـتكاثر المستشفيات والمستـوصفات الأهلية وتتنافس فيما بينها لجذب المرضى . وهذه فرصة أمـام أربـاب المـال الذين يريدون أن يخلصوا المسلمين من هذا التقليد الغربي المخالف لديننا .

هـذه فـرصتـهـم خـاصـة وقد توفر الأطباء والمساعدون من كلا الجنسين ومن كل الجنسيات حيث كان هذا أكبر العوائق التي تعيق إنشاء المستشفيات غير المختلطة .

بريد البيان

● الأخ عبد الله بن محمد القزلان

جائتنا هذه الرسالة :

"إخواني في الله ،

لاأخفي عليكم عظيم فرحتي بهذه المجلة وهذا المنتدى ، الذي أدعو الله أن يستمر ويزداد نشاطاً ، ولا أخفيكم القول ، فأنا أخاف على هذا الصرح الإسلامي وأخشى عليه ، فالحق في هذا الزمن غير مـرغـوب فـيه ، والمجـلـة تـعـبر عـن رغـبات وأفكار الكثير من المسلمين الغيورين .

هذه كلمات أحببت بثها في ثنايا هذه السطور تعبيراً عما أكنـه فـي نـفـسي تجاه ما تقومون به، وأخيراً أنصح إخوتي بالاعتدال والسير على النهج السليم والسلام عـليكم ورحمة الله وبركاته ."

الأخ أبو خالد أرسل إلينا مقترحاً الكتابة في المواضع التالية أو منـاقـشـتـها من قبل بعض الدعاة :

1- الشخصية المسلمة في العمل ، المنزل ، الشارع .
2- الحجاب الحقيقي للمرأة الملتزمة بدينها .
3- أخطاء من داخل البيت المسلم .
4- كيف نتعامل مع غير المسلمين (نصارى ، بوذيين ، هندوس...)

البيان : نشكر الأخ أبا خالد على اهتمامه ونحن بدورنا نطلب من الدعاة الـكتاب المشاركة في هذه المواضيع وأمثالها .

0• الأخ عبد الرحمن العيد

أرسل إلينا متأسفاً لحالة البعد بين الدعاة ويقترح على المنتدى إقامة مؤتمر للدعاة في كل سنة حتى تتقارب المفاهيم ويعرف كل منهم حالة أخيه ويقفوا صفاً واحداً أمام مؤامرات الأعداء .

0• الأخ بندر بن فارس المسعود

أرسل لنا رسالة قصيرة يدعو فيها المسلمين إلى الاعتصام بكتاب الله والابتعاد عن التفرق والتشرذم .

0• الأخ خالد بن إبراهيم بن عبد الله

أرسل مهنئاً ومقدراً للجهود التي تبذل لإبراز إعلام إسلامي بصورة طيبة .

قديم جديد

مبادئ العالم الحر *!

للأستاذ سيد قطب (رحمه الله)

"العالم الحر" اسم يطلقه الاستعماريون في انجلترا وفي فرنسا وفي أمريكا على تلك الكتل الاستعمارية التي تكافح ضد الزمن ، وتقاتل ضد الإنسانية ، وتقاوم ضد الحرية . ثم تطلق على نفسها في النهاية اسم "العالم الحر"!

و"العالم الحر" مشغول هذه الأيام بتمزيق إهاب "الحرية" في تونس ومراكش وفي كينيا وفيتنام.. وفي كتم أنفاس "الأحرار" في كل مكان ؟ لأن رسالة العالم الحر هي أن يكون حراً في قتل الحرية حسبما يشاء .

و"العالم الحر" يرتكب من الجرائم ما يقشعر له ضمير البشرية . وذلك رغبة في نقل مبادئ الحضارة الغربية إلى القارة المظلمة . وإذا كانت هذه القارة لا تريد أن تتحضر على يد البعثات التبشيرية فلتتحضر إذن بالسيف والمدفع والطيارة والدبابة ؛ وهي أقدر ولا شك على نقل مبادئ الحضارة إلى الشعوب المتخلفة ! و"العالم الحر" يشرد الشعوب من ديارها - على نحو ما فعل في فلسطين - وذلك رغبة منه في إيجاد "لاجئين" يتولى رعايتهم ، والعطف عليهم ، وإقامة الخيام لهم في العراء . فمبادئ العالم الحر تقتضي العطف على المشردين ، الذين لا وطن لهم في هذه الأرض المعذبة !

و"العالم الحر" يتساند ويتكاتف في هذه المهام الضخام . أليس الدولار هو الذي يشد من أزر فرنسا في تونس ومراكش وفيتنام ، ويشد من أزر إنجلترا في كينيا ومصر وفي كل مكان ، ويشتري الصحف والأقلام والجماعات والجمعيات والرجال والنساء في هذه الأيام ؟!

وأنا لا أعيب على "العالم الحر" أن يمزق إهاب الحرية ويمثل بجثث الضحايا من الأحرار، ويقتل الأطفال والنساء والشيوخ في القرى الآمنة ، ويرتكب الجرائم الوحشية التي يرتكبها بلا تحرج.. فإن هدفه السامي من وراء ذلك كله واضح كما قلت وهو نقل مبادئ الحضارة الغربية بطريقة عملية إلى الشعوب المتأخرة والتي لا يجوز أن تظل متأخرة !

إني لا أعيب على هذا "العالم الحر" حريته هذه . حرية وحوش الغابة في أن تصنع في الغابة ما يؤهلها له الظفر والناب فمبادئ الحضارة الغربية هي هذه كما كانت وكما هي كائنة ، وكما ستكون حتى يأذن لله لها بالفناء .

كلا ! إنما أتلفت إلى شعوبنا وحكوماتنا ومفكرينا وكتابنا وشعرائنا وجماعاتنا وجمعياتنا ... أتلفت إليهم لأرى هل سكتت الأبواق التي تهتف بحمد الحضارة الغربية ؟ هل خرست الألسنة التي تتحدث عن الصداقة الأمريكية والصداقة الإنجليزية والصداقة الفرنسية ؟ هل انزوت الجماعات والجمعيات التي تحمل ألوية الصداقة مع "العالم الحر" وتشيد بجهوده في الخدمات الاجتماعية والتعليم الأساسي واليونسكو والنقطة الرابعة(1) وسائر الوسائل الاستعمارية الحديثة التي تنخر في صخرة المقاومة الشعبية ؟

أتلفت لأرى هذه الأبواق لا تزال مفتوحة ، ولأرى هذه الألسنة ما تزال طليقة ، ولأرى هذه الجمعيات والجماعات ما تزال تتبجح وتعلن عن نفسها بلا حساب ، وتنفق الأموال الضخمة في هذا الإعلان ، والدولار من خلفها يمكن لها من العمل ويمكن لها من الإعلان!

إن "العالم الحر" لا يحاربنا بالمدفع والدبابة إلا في فترات محدودة، ولكنه يحاربنا بالألسنة والأقلام ، ويحاربنا بالمنشآت البريئة في مركز التعليم الأساسي ، وفي هيئة اليونسكو ، وفي النقطة الرابعة ، ويحاربنا بتلك الجمعيات والجماعات التي ينشئها وينفخ فيها ويسندها ويمكن لها في المراكز الحساسة في بلادنا... وأخيراً فإنه يحاربنا بأموال أقلام المخابرات التي تشتري الصحف والأقلام ، وتشتري الهيئات والجماعات.

(....) لقد قام بيننا في وقت من الأوقات رجل يسمى " أمين عثمان" يحمل لواء الصداقة الإنجليزية في فجور وتبجح ، ويؤسس جمعية نادي العلمين . كما قامت في ظله "جماعة إخوان الحرية "(2). ولقد هرعت الشخصيات الكبيرة يومها إلى أمين عثمان وجمعيته . الشخصيات المستوزرة التي تشم رائحة الحكم من عشرات الأميال .. ولكن حاسة الشعب السليمة ظلت تنفر من الرجل وجماعته على الرغم من انضمام "الشخصيات الكبيرة" لأن الشعب يعرف قيمة هذه الشخصيات ودوافعها !

(....) إن الحرب المقدسة مع الاستعمار اليومتقتضي تخليص ضمائر الشعوب أولاً من الاستعمار الروحي والفكري ، وتحطيم الأجهزة التي تقوم بعملية التخدير ، والحذر من كل لسان ومن كل قلم ، ومن كل جمعية أو

جماعة تـهادن معسكراً من معسكرات الاستعمار ، التي ترتبط جميعها بمصلحة واحدة ، ومبادئ واحدة. مبادئ العالم الحر ومصالح العالم الحر ! (....) والمهم أن نتجمع اليوم ونتساند كما يتساند العـالـم الحـر ضـدنا . فكل بلد صغير لا يستطيع وحده أن يكافح عالماً . والسياسة القصيرة النظر التي تـريد أن تحصرنا في حدودنا الجغرافية المصطنعة هي سياسة حمقاء فالعالم يسير نحو التكتل في الشرق والغرب سواء . ومن واجبنا أن نتكتل على الأقل تمشياً مع منطق العصر ؛ إن لـم يـكـن تمـشـياً مـع منطق الإسلام .
والمجـمـوعة الآسيوية الافريقية تحاول أن تكون كتلة محايدة . ولا ضير من السير معها ، وإن كنت أنـا شخـصـياً لا أرى أن هـنالك مقومات حقيقية ودائمة لقيامها . فهناك تيارات مختلفة تتجاذبها. والمصالح التي تربط بـينها اليوم مصالح مؤقتة. أما الكتلة التي يمكن أن تقوم على أسس حقيقية وعميقة ودائمة فـهـي الكـتـلة الإسـلامية، وهي آتية لا ريب فيها على الرغم من جهود "العالم الحر" وجهود "الديموقراطيات الـشعبـيـة" فـلنعـجل بقيامها ، فهي سندنا الحقيقي الوحيد .

الهوامش :

1- النقطة الرابعة : برنامج للمساعدة الفنية والمالية اقترح الرئيس الأمريكي ترومان كبند رابع في خـطـابه الافـتـتاحي عام 1949 ، وتقوم بموجبه حكومة الـولايـات المـتحـدة بـتقـديـم الخبراء التقنييـن والمعلومات والمعدات والرساميل لمساعدة المناطق المتخلفة من العالم على تنمية الصناعـة والـزراعـة والإدارة العامة والصحة والتعليم . يجري تنفيذ البرنامج عن طريق الاتفاقيات الثنائية بيـن الـولايـات المتحدة والدولة المعنية . اندمج الـبرنـامـج الذي عرف باسم "إدارة التعاون الفني" 1950 فـي بـرنـامـج المـساعـدات الخارجيـة ، وكـان غـرضــه الأساسي ينطوي على مكافحة انتشار الشيوعية وتمهيد السبيل للتغلغل الأمريكي تحـت ستـار تـقديم المساعدات للدول الصديقة . (الموسوعة السياسية)

2- جماعة إخوان الحرية: جماعة ألفها "كرستوفر سكيف" في مصر، وهو مبشر وجاسوس بريطاني ، وكان أستاذاً فـي كلية الآداب بجامعة القاهرة . وكان من هذه الجماعة "لويس عوض" وأمثاله الذين صنعهم التبشير والاستعمار .

الورقة الأخيرة

المتربصون

عبد القادر حامد

يواجهُ الدعاة إلى الله في هذا العصر - وفي هذه المرحلة بالذات - بطائفة يحضرون الدروس واللقاءات والمحاضرات ويكثرون عدد الحريصين على العلم والداعين إلى الخير، وقد وقف أفراد هذه الطائفة أنفسهم على تتبع العورات ، والتفتيش عن المآخذ والسقطات .
وقد حولوا حال الدعاة إلى قلق وحذر وخوف بتنطعهم وتنقيرهم ، ولا يكاد يسلم منهم أحد ؛ فمن سلم من العيب في منطقه يعاب في لباسه ، ومن سلم في لباسه عيب في سمعته وحركاته ، ومن أجاد في التفسير رموه بالضعف في الحديث والجهل بالتوحيد ، ومن صرف جهده للحديث قالوا عنه : لا يفهم في الفقه ، ومن ترك التعرض للموضوعات الشرعية وتفرغ لبيان الواقع السياسي رمي بوصف العامية وقلة البضاعة في العلم الشرعي، ومن خاطب الناس بما يعرفون رموه بالسطحية والضحالة: لماذا لم يرم الناس بما في موافقات الشاطبي ويفحمهم بما في : اقتضاء الصراط المستقيم...الخ ، وقد أصبحت هذه الطائفة ظاهرة لا يحسن تجاهلها والتهوين من أمرها ، وهي تتجول بين الأمكنة التي هي مظنة لقاء المسلمين فيها وتدارسهم ، وقد يخيب أملها أحياناً عندما تحضر لمن لا يمكنها تفجير مشكلة معه إما لعلم عنده وإما لشوكة يستظهر بها من مريديه ؛ وإما لحكمة وهبها الله له تجعله يتجنب الوقوع في براثن هذه الطائفة المتربصة!
والمتأمل في حال هذه الطائفة يمكن أن يصنفها في صنفين :
1- صنف مدخول النية سيء القصد .
2- وصنف ليس كذلك ، ولكنه حبس نفسه في بطون الكتب ، لا يغادرها ، بل يقرأ هنا وهناك ويضع حلواً على حامض وحاراً على بارد! أليس كل ذلك وصفات موجودة في كتب فلان وفلان من علماء المسلمين؟! فلماذا نتأخر عن الأخذ بها ورمي المتطفلين على العلم بها؟! وهكذا فإن هذا الصنف بفهمه المبتور للعلم ، وبعدم تنزيه ما يعلمه على ما يمكن عمله - يصيبه الغرور والكبر، ويقع ضحية العناد والإعجاب بالنفس ، ويؤول أمره إلى أن يصبح كالصنف الأول لا أمل في إقناعه ، فضلاً عن تقويمه وإصلاحه ، ولا حيلة للعاقل معه إلا بتجاهله ونبذه ، وهكذا تضيع جهود من حقها أن توفر لما هو أولى وأجدر أن تثار حوله المناقشات وتعلو من أجله الأصوات . وهذا الفريق يؤمن بالمطلقات ، ولا يفرق بين عصر وعصر، فعنده : العصر المكي يساوي العصر المدني ، وما قبل الفتح يساوي ما بعده، والحال قبل نزول سورة التوبة هو الحال بعدها، والحلال عنده درجة واحدة، وثواب الأعمال الصالحة واحد، كما أن الحرام عنده درجة واحدة ، ولا تفاوت بين حرام وحرام . متسرع في الجواب، جرئ على الفتيا وإن لم يملك بعض أدواتها ، ولا يغرنك اصطناعه التفكير في السؤال والتريث، أما الزمان والمكان والعلم بحال المستفتي فهذا أبعد ما يكون عن تفكيره حين يلقي بأحكامه المطلقة

من عقالها حاسمة وجازمة. إنــه مــــرض نفـسـي يـضـــــرب فريقاً من الناس ، وهذا المرض يستشري نـتيـجة لـظروف مـعينة حتى يـصبـح وباءً معـدياً، ومن هذه الظروف : قلة العلماء ، ونظرة الأنظمة إلى العلم الـشرعـي، وتعمدها بث الفوضى في أركان هذا العلم، مع حاجة الناس المآسة إليه، وكذلك زيادة عدد الذين يفكون الحرف،وهو ما يسمى بالأمية الثقافية...وهكذا تكثر في هذه الأجواء الدعوى، وتستبحر الفوضى، ويرتفع لواء الجهل، ويختلط العـلـم الصـحيح بالباطل المبهرج والعياذ بالله .

لـقد بـات الأمـر بحـاجة إلى أن يـتداعـى المـسلـمـون الغـيـارى إلى تـأيس هيئة علمية غير رسمـية، تقيم في ركن من الأرض وليس لسلطة أرضية عليها سبيل، ترقب أمر اللـه فـقـط، وتصدر آراءها وفتاويها في ما دق وجل من أمر المسلمين ولا تخشى في الله لومة لائم،ويومئذٍ يفرح المسلمون بتوفيق الله لهم في هذا المجال الذي طال خوض الخائضين فيه دون أهلية.

تمت بعون الله ، والحمد لله
